حولية دائرة الآثار العامة

١٩٧٢

السابع عشر

دائرة الآثار العامة
عمان
المملكة الاردنية الهاشمية

المحرر :

يوسف جمـــال العلمي

قيمة الاشتراك السنوي :

دينار اردني واحد ، ترسل باسم مدير عام الآثار .

تقبل المقالات حتى اول تشرين الثاني / نوفمبر من كل سنة وترسل باسم محرر الحولية :

دائرة الآثار العامة

ص.ب. ٨٨

عمـان ـ الاردن

الآراء المطروحة في المقالات لا تمثل رأي دائرة الآثار بالضرورة . المؤلفون مسؤلون عن تدقيق مقالاتهم .

فهرس المحتويات

اتجاهات حديثة في دراسة تاريخ الانباط
الدكتور احمد فخري ٥

الحفريات حول الحرم
الاستاذ محمود العابدي ٢٣

منجزات دائرة الآثار العامة ١٩٧٢
المهندس يوسف العلمي ٤١

اضواء على باب الذراع
الدكتور معاوية ابراهيم ٤٧

مراجعة كتاب ٥٥

اللوحـــات ٥٩

اتجاهات حديثة في دراسة تاريخ الأنباط

الدكتور احمد فخري

مقدمة ★

للموقع الجغرافي لأي بلد من البلاد أثر قوي على سير أحداث التاريخ فيه ، ومنذ فجر التاريخ حتى أيامنا الحالية لعبت الاردن دورا غير قليل في سير الأحداث في هذه المنطقة من بلاد الشرق العربي لانها بحكم موقعها الاستراتيجي الهام تتحكم في طرق المواصلات بين بلاد المنطقة سواء في السلم أو في الحرب ·

ويضطر المهتم بدراسة تاريخ الأردن أو آثاره الى دراسة أحداث وآثار البلاد المجاورة لان الاردن لا يستطيع أن يبقى بمنأى عن احداث المنطقة ، ولا يمكن أن يبقى بعيدا عن الصلة بجيرانه والتأثر الثقافي بهم · ولست أقصد من هذا البحث تقديم عرض سريع لتاريخ الأردن في العصور القديمة ، وانما أقصر حديثي في موضوع الأنباط على ناحية واحدة منه ، وهي عدد محدود من بعض الاتجاهات الحديثة في دراسة تاريخهم ·

ولكن قبل التحدث عن تلك الاتجاهات أرى لزاما علي ، كتمهيد للموضوع ، أن أتحدث حديثا عاما ، وفي حيز ضيق ، عن الأنباط أنفسهم وأذكر شيئا عن تاريخ الدراسات النبطية ، وأهم ما ظهر فيها من بحوث ، وأبدأ بالحديث عن أهمية طرق القوافل التي تمر بالاردن وأثرها في تاريخه ·

أهمية طرق القوافل

يمتاز تاريخ الأنباط بأنه تاريخ قوم عاشوا في الجهة الشرقية من الاردن ، وتطورت حضارتهم في المنطقة نفسها ثم ازدهرت ، وجاء اليوم الذي مدوا فيه نفوذهم التجاري والسياسي والثقافي على بعض جيرانهم ·

استقروا في أول الأمر في بلاد « أدوم » ثم « مؤاب » ، وبسطوا نفوذهم على طرق القوافل التي تمر عبرها وأهمها درب القوافل الكبير الذي كان يربط بين بعض المواقع على المحيط الهندي في جنوبي الجزيرة العربية وبين شاطيء البحر الابيض المتوسط ، تحمل قوافله تجارة الهند وما وراءها ، كما تأتي بالعطور والبخور والبان والمر من جنوبي الجزيرة من اليمن وحضرموت وتخترق بلاد اليمن ، ومنها الى الحجاز مارة بمكة والمدينة ثم العلا ومداين صالح ، ثم الى التيماء ودومة الجندل حتى تصل الى بلاد أدوم ومؤاب ، ثم تتجه شمالا الى بصرى ومنها الى غزة أو غيرها من موانيء فلسطين ، وكانت تتفرع من هذا الدرب عند كل محطة كبيرة من محطات القوافل دروب فرعية تربطه بكثير من البلاد التي في شرقي شبه الجزيرة العربية على الخليج ، وما بعدها ، كما تربطه أيضا بالموانيء التي على البحر الاحمر في الجهة الغربية ، كما تربطه أيضا ببلاد العراق وسوريا وغيرها ·

وكان التجار يحرصون بطبيعة الحال على ألا تعود قوافلهم الا وهي محملة بكل ما تجده في أسواق الشام من بضائع ومصنوعات محلية أو مجلوبة من مصر والاناضول والعراق ومختلف بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط ، وتبيع ما حملت من بضائع في كل محطة في طريقها أثناء عودتها الى الجنوب ، ولهذا يمكننا أن نفهم بسهولة أن من يتحكم في جزء من هذا الدرب التجاري

الهام ويحصل على ما يفرضه من أتاوة أو مكوس مقابل السماح بمرور القوافل في بلاده والتعهد بحمايتها ان كان قادرا على ذلك ، يستطيع أن يجني أرباحا طائلة كما نفهم أيضا بسهولة ما كان يجنيه من يشترك في هذه التجارة ، وهذا ما فعله الأنباط ٠

لم يكن هذا الدرب هو الوحيد الذي يمر ببلاد أدوم ومؤاب ، بل كان هناك درب آخر ذو اهمية كبيرة وهو الدرب الذي يربط بلاد الشام بمصر وما وراءها من بلاد شمال أفريقيا ٠ كانت تتجمع فروع هذا الدرب في دمشق ومنها تتجه القوافل الى بصرى ثم تعبر بلاد الاردن مارة بمؤاب وأدوم ومنها الى بلدة العقبة ثم تقطع شبه جزيرة سيناء الى مصر ٠

كانت هذه القوافل تتعرض لمهاجمة قبائل البدو أثناء سيرها في بلاد مؤاب وأدوم والنقب ، ولهذا فمن الخير لاصحاب القوافل أن تكون هناك حكومة قوية أو زعماء ذوو نفوذ وسلطة حتى يتوفر لها الأمن المطلوب ولا يضير أصحاب القوافل أن تشاركهم الحكومة أو الزعماء في جزء من الربح ٠

وهناك حقيقة أخرى يجب أن لا ننساها ، وهي أن أهمية الطرق التجارية لا تقتصر على نقل السلع وتحقيق الحصول على الثروة ، بل هي في الوقت نفسه شرايين حيوية لنقل الثقافة من بلد لآخر ، وعليها تنتقل الأخبار ، وما يستجد من مذاهب وآراء ، وكان كل سوق من الأسواق التي تحط فيها بعض الوقت ميدانا لتبادل الفكر والمعرفة ٠

استقرار الأنباط في أدوم ومؤاب

استقر الأنباط في بلاد أدوم ومؤاب منذ أواخر القرن الخامس قبل الميلاد أو أوائل القرن الرابع، وثبتوا أقدامهم فيها ولم يمض عليهم وقت طويل حتى أصبحت دروب القوافل خاضعة لسيطرتهم ٠ وتقدموا في حضارتهم ، وأثروا ، وأصبحت لهم عاصمة منيعة ومدن أخرى ، وأصبحوا مملكة يتولاها ملك مهم منذ أوائل القرن الثاني قبل الميلاد ٠

لم يكن الأنباط غافلين عما يجري حولهم من أحداث ، بل أدركوا ان وجودهم مهدد اذا لم يشاركوا في توجيه التيارات السياسية التي تهب على المنطقة ، فكانوا على صلة مستمرة بما يجري في البلاد التي تقع الى الشمال منهم في سوريا ، والى ما يحدث في شمال الجزيرةالعربية، وعلى صلة وثيقة بكل ما يجري في فلسطين ،

وفي النقب وسيناء ومصر ٠ بل ان الظروف السياسية التي سادت في أيام ازدهارهم جعلتهم على صلة كبيرة ومستمرة بروما وحكام الرومان٠

كانت أعظم فترات الازدهار في تاريخ الأنباط هي الفترة التي تشمل القرن الأول قبل الميلاد والقرن الاول الميلادي ، وفي بعض فترات ذلك الازدهار زاد نفوذ الأنباط السياسي فامتد جنوبا حتى شمل مداين صالح وشمالا حتى شمل دمشق، اما نفوذهم التجاري فقد امتد الى ما هو أبعد من ذلك بكثير ٠

واذا كنت اخترت القرن الاول قبل الميلاد والقرن الاول بعد الميلاد فان تاريخهم يرجع الى ابعد من ذلك ، كما سبق القول ، ونحن نعرف أنهم كانوا أقوياء وأغنياء وأنهم كانوا قد اتخذوا البتراء عاصمة لهم في القرن الرابع ق٠م٠ ، ولكن هناك من القرائن ما يجعلنا نعتقد أن بدء استقرارهم في بلاد أدوم كان قبل ذلك بوقت طويل ٠

واذا كان الرومان قد قضوا على استقلال الأنباط السياسي عام ١٠٦ م وأصبحت بلادهم منذ هذا التاريخ تابعة لروما فان لغتهم ومظاهر حضارتهم بل وكيانهم القومي ظلت مستمرة فترة من الزمن امتدت بضعة قرون ٠

ولم يكن السبب فيما حدث للانباط راجعا فقط الى العوامل السياسية الخارجية وأهمها طبعا التوسع الروماني ، أو كان راجعا الى ما أحاط بالبيئة المالك من ضعف بل ان السبب الرئيسي يرجع الى حد كبير الى تشجيع الرومان لنقل التجارة عن طريق البحر الاحمر بعد أن عرفوا سر الرياح الموسمية من العرب هناك فأثر ذلك تأثيرا كبيرا على الانباط لحرمانهم من جزء كبير

مما كانوا يجنونه من أرباح يحصلون عليها من سير القوافل على الدرب الكبير ·

ومما زاد الطين بلة ، ان الاحداث السياسية التي عمت هذه المنطقة قللت من مكانة مدينة البتراء ونقلت مركز الاهمية التجارية الى مدينة تدمر التي أصبحت المحطة الرئيسية على الدرب او الدروب التي تخترق الصحراء وتربط موانىء البحر الابيض المتوسط بداخل البلاد السورية ثم تسير الى العراق وما وراء العراق ·

الأنباط في آخر أيامهم

ولكن بالرغم من اضمحلال أهمية البتراء ، ثم زوال الأنباط فيما بعد كقوة سياسية تسيطر على المنطقة فان بلادهم ظلت عامرة ، وبالرغم من استمساك بعضهم بديانتهم القديمة وعبادة ما ألفوه من معبودات ، فقد وجدت الديانة المسيحية قبولا من البعض الآخر في وقت مبكر ، ولم يحل القرن الرابع الميلادي حتى كانت المسيحية [1]. قد قويت بينهم الى الدرجة التي أصبح فيها للبتراء أسقف اشترك في مجمع نيقيا عام ٣٢٥ كما ورد أيضا اسم أسقف البتراء في مجمع «ساردیس» [2] · وكان لذلك الأسقف من الشجاعة ما جعله يقف الى جانب « أثناسيوس » في الصراع الذي كان ناشبا في الكنيسة المسيحية اذ ذاك ·

أما آخر الوثائق التي وصلت الى أيدينا وفيها اشارة الى المسيحية فهي الاشارة الى أن أحد أساقفتها كان ابن أخ للامبراطور الروماني « موريس » الذي حكم بين عامي ٥٨٢ و ٦٠٢ ميلادية ·

ولم يمض وقت طويل حتى خضعت البلاد لجيوش المسلمين وانتشر الاسلام ، وزاد التدهور الذي كان قد أخذ يسود في المنطقة ، ولم نعد نسمع شيئا عن المسيحية أو المسيحيين في البتراء، بل يكاد الانسان يعتقد أن أكثر أهل البتراء تركوها في القرن السابع الميلادي ، وانتقلوا الى القرى القريبة من موارد المياه الثابتة في وادي موسى وما جاوره ·

وفي أيام الحروب الصليبية ، جعل الصليبيون بلدة الكرك نقطة ارتكاز لتهديد طريق الحج وقوافل التجارة ، ولكنهم لم يعينوا أسقفا لها ·

ونسي الناس الأنباط أو كادوا ، وتعرضت معابدهم ومسارحهم ومنازلهم وقبورهم وحصونهم وما ابتدعوه من أعمال الري وتخزين المياه في البتراء وفي عشرات القرى النبطية الاخرى الى الخراب والتدمير سواء من تأثير مرور الزمن والاهمال أو على يد البدو الذين ظلوا يعيشون في المنطقة ·

وانتهت مملكة الصليبيين عام ١١٨٧ ميلادية ، ولكن ذلك لم يكن له أي رد فعل على أحفاد الأنباط ، ومع ذلك فقد ظل ذكر المنطقة يتردد في كتابات بعض الحجاج المسيحيين الذين كانوا يأتون من بلادهم لزيارة بيت المقدس والأماكن المقدسة الاخرى التي ارتبط اسمها بحوادث هامة في كتاب العهد القديم أو كتاب العهد الجديد على السواء لان بعض أولئك الحجاج كانوا يحرصون على زيارة جبل هارون وعيون موسى ثم يواصلون سفرهم الى سيناء التي شهدت خروج بني اسرائيل ثم يذهبون الى مصر ·

وفي بعض ما كتبه جغرافيو العرب ومؤرخوهم اشارات كثيرة الى الاردن عامة والى المنطقة الجنوبية أيضا ، ومن بين تلك الاشارات ما ذكره ياقوت في كتابه « معجم البلدان » الى « سلع التي

---

١) كان الوثنيون والمسيحيون يعيشون معا في البتراء حتى القرن الخامس الميلادي على الاقل اذ نعرف من قصة « معجزة الراهب برسوم » المذكورة في تاريخ الكنيسة والتي حدثت بين اعوام ٤١٩ و ٤٢٢ ما يؤكد حياة الوثنيين والمسيحيين في مكان واحد — وتتلخص هذه المعجزة في انه بمجرد ان رفع الراهب برسوم يديه بالدعاء سقطت الامطار ونجا الناس .
ونعرف مما كتبه بعض الحجاج المسيحيين في القرن السادس الميلادي ان الانباط في سيناء كانوا يعبدون الشمس وكانت للاله « ذو الشرى » مكانة ممتازة بينهم .

٢) مدينة ساردیس (Sardis) في آسيا الصغرى على مسافة ٨٠ كم شرقي ازمير ، وهي مدينة قديمة ، وكانت عامرة في العصر الحديدي وازدهرت كثيرا في العصر اليوناني الروماني ولعبت كنيستها دورا هاما في ايام المسيحية .

في وادي موسى » وهي دون سلع البتراء ، وينطبق عليها أيضا الاشارة الى حصن « أسويط » الذي ذكره النويري في وصفه لرحلة السلطان بيبرس (١٢٦٠ ـ ١٢٧٧ م) وهي الرحلة التي قام بها من مصر الى الكرك مارا على مقربة من البتراء ، فمن المحتمل جدا أن يكون حصن أسويط هو ما نجد بقاياه في المكان المعروف باسم الحابس الى الشمال من السيق [٣] الذي يقود الى داخل مدينة البتراء ٠

ومما هو جدير بالذكر أن النويري ذكر اسم المنطقة تحت كلمة « بدرية » وسمى الجبال التي حول البتراء « جبل بدر » وهو تحريف مقبول لكلمة البتراء اليونانية الأصل ومعناها «الصخرة» وكلمة « سلع » معروفة في اللغة العربية [٤] ، وهي أيضا معروفة في العبرية ، وورد ذكرها في التوراة ٠ وكانت المنطقة تعرف أيضا باسم « الرقيم » وقد وردت مكتوبة « رقم » في النقوش النبطية وذكرها أحد الحجاج المسيحيين عند وصفه لرحلته التي قام بها عام ١٢١٧ ميلادية اذ أشار اليها عندما ذكر أنه تقدم في سيره مع القافلة ، وترك على يمينه « أرخيم التي كانت في وقت ما عاصمة للعرب » وهو يشير دون شك الى البتراء ٠

وظلت الأمور تسير على وتيرة لا تكاد تتغير ، وأصبحت الكلمة العليا لقبائل البدو ، ومن قبل الحياة الى جوارهم ، لا يكاد الامر يستقر فيها ولكن سير القوافل ظل كما كان حتى حل القرن التاسع عشر عندما زار المنطقة رحالة من نوع آخر فكانت زيارته فاتحة عهد جديد في تاريخ البتراء وتاريخ الأنباط ٠

زيارة بوركهارت لآثار البتراء

أخذت أوروبا في القرن الثامن عشر تتطلع الى الالمام بكل ما يمكن معرفته عن بلاد الشرق والبلاد الاسلامية تمهيدا لما كانت ترمي اليه من استيلائها على خيراته ومد نفوذها السياسي الى بلاده كما حدث في الهند من قبل ، ولهذا شجعت بعض الحكومات والجمعيات العلمية عددا من الرحالة المثقفين للحصول على كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات ٠ ومن ألمع الاسماء بين أولئك الرحالة اسم شاب سويسري مستشرق وهو «جون لويس بوركهارت» تعلم اللغة العربية واعتنق الاسلام وأصبح يتسمى باسم « الحاج ابراهيم » وكان يعمل لحساب الجمعية الجغرافية البريطانية ٠

كان بوركهارت في دمشق عام ١٨١٢ وصحب القافلة التي كانت في طريقها الى القاهرة وأثناء سفرهم في الاردن سمع بوركهارت من دليله المرافق له ومن أشخاص آخرين في القافلة عن وجود آثار كثيرة في مكان في الجبال عند وادي موسى ، وقد أثبت ذلك في مذكراته اليومية في يوم ٢٢ أغسطس (آب) في كثير من الحماس وقال أنه مشتاق كل الشوق لرؤية وادي موسى وما فيه من آثار [٥] ٠

أراد بوركهارت أن يتخلف في عيون موسى ثم يسير بعد ذلك رأسا الى القاهرة دون الذهاب الى العقبة ، ولكن الدليل رفض ذلك رفضا باتا تجنبا لما عسى أن يتعرضا له من أخطار في الطريق ، ولكن هذا الرفض لم يثنه عن عزمه ٠ كان بوركهارت قد سمع ممن حدثوه أن الطريق الى أعلى جبل هارون يمر بين الآثار ، ولهذا دبر في نفسه أمرا ٠ فعندما كانت القافلة تسير بين الشوبك والعقبة ومروا على مقربة من وادي موسى قال أنه نذر لله ويجب أن يوفي به وهو أن يذبح عنزا عند قبر النبي هارون ، فلم يجرؤ الدليل على الاعتراض خوفا من اغضاب النبي هارون واستنزال اللعنة على نفسه فقبل مرافقته ٠

---

٣) كلمة « السيق » التي يستخدمها الناس في الوقت الحاضر وتتردد في جميع المؤلفات ليست ، في رأي عدد من العلماء ، الا تحريفا من الاجانب لكلمة « الشق » التي ما زال يستخدمها اهل المنطقة كاسم لذلك الطريق الضيق بين الصخور والذي يتحتم على زائر البتراء ان يسلكه للوصول الى قلب مدينة البتراء .

٤) كلمة « سلع » معروفة في اللغة العربية بمعنى الشق بين الجبال ، وتطلق احيانا على المناطق الجبلية الملأى بالاخاديد . وقد ذكر ياقوت في « معجم البلدان » أماكن كثيرة كان يطلق عليها « سلع » ووصف التي عند وادي موسى بأنها حصن قوي .
(Yaqut, Mu'gam al-Buldan, 111, p. 117)

٥) John Louis Burckhardt, Travels in Arabia, (London, 1829 .

ويذكر بوركهارت أنهم تركوا القافلة على أن يلحقوا بها فيما بعد وذهب وبصحبته دليله الى مكان يذكره تحت اسم « werak وراك » وهو خطأ في قراءة ما كتبه اذ كان يقصد دون شك « الوعيرة » القريبة من وادي موسي [٦] ، ومن هذه القرية استأجر أدلاء محليين رافقوه الى عيون موسى ونصحوه أن يذبح العنز هناك ولا داعي للمشقة ، وقالوا له بأن هذا هو ما يفعله الحجاج الاخرون ، ولكنه صمم على أن يوفي بنذره كاملا ولا يذبح العنز الا عند القبر نفسه فوق الجبل ، وأخيرا وصلوا الى قرية الجي واستأجر شخصا من أهلها يعرف الطريق الصاعد الى القبر ولكي يحمل العنز وقربة ماء ٠

ويستمر بوركهارت في سرد قصته فيقول أنه بعد أن ترك القرية بدأت الآثار تظهر أمامه ولكن لم يكن في استطاعته أن يقضي وقتا طويلا في زيارتها خوفا من اثارة شكوك الدليل ، وعلى أي حال فقد أشار الى المقابر المكعبة قبل مدخل السيق كما ذكر أيضا مقبرة المسلات ، ومر في السيق وزار الخزنة ووصف واجهتها وعمل رسما تقريبيا لها ٠ولم يكتف بذلك بل زار بعض المقابر الاخرى، ومن وصفه يمكننا أن نقول أنه زار المقبرة المعروفة باسم مقبرة الجرار و « المقبرة الكورنثية » كما زار بقايا المعبد ٠

وكان اهتمام بوركهارت بالآثار واستغراقه بعض الوقت في زيارتها بدلا من القاء نظرة عابرة جاهلة عليها جعلت دليله يشك في أنه من الباحثين عن الكنوز وأنه جاء الى هذا المكان ليسرق ما فيه من أموال وجواهر فرفع بندقيته وهدده بأنه سيطلقها عليه اذا استمر في زيارة الآثار ٠ ولكن ذلك لم يثن بوركهارت عن عزمه واستمر في سيره بين الخرائب حتى وصل الى مكان يقع الى جنوبي « أم البيارة » حيث يظهر جبل هارون واضحا ، ويقول العالم الشاب أن الشمس كانت على وشك المغيب وكان متعبا منهوك القوى فقرر أن يذبح العنز هناك ثم عاد أدراجه في الظلام الى قرية الجي ٠ ويختم بوركهارت مذكراته فيقول بأنه يحتمل جدا أن تكون الآثار التي زارها عند وادي موسى هي مدينة البتراء ، ويزيد على ذلك قوله بأن « يوسيبيوس » [٧] ذكر أن قبر هارون قريب من البتراء ٠

كان بوركهارت أول أوروبي تقع عيناه على آثار البتراء بعد أيام الصليبيين وأول من لفت أنظار العالم اليها بعد أن لفها النسيان ، فأخذ الرحالة الآخرون والزائرون المثقفون يذهبون اليها ، وكثيرا ما نقرأ في كتاباتهم مدى ما كانوا يلاقونه من مشقة ومضايقات وابتزاز للمال من سكان المنطقة سواء ممن كانوا يسكنون في وادي موسى أو من كانوا يعيشون في كهوف البتراء نفسها ، ولكن مع مرور الزمن ، وبعد أن مضى أكثر من مائة سنة أصبحت زيارة الآثار شيئا مألوفا ، بل أصبحت مورد رزق هام لأهل المنطقة كلها ، أما أولئك الذين كانوا يسكنون في المقابر وفي شعاب الوديان داخل منطقة البتراء نفسها فما زالوا هناك ، وأصبحت الآثار المورد الاكبر لهم للحصول على المال سواء ما يسرقونه منها أو ما يحصلون عليه من أجور كعمال للحفائر وحراس للمنطقة [٨] ٠

تقدم الدراسات النبطية حتى بداية الحرب العالمية الاولى

لم يقصر المهتمون بدراسة الآثار في تسجيل آثار البتراء وغيرها منذ بدء زياراتهم لها في القرن الماضي ، ولكن أكثر ما كتبه الرحالة

---

٦) الوعيرة على مسافة كيلومترين من الاستراحة الحكومية في وادي موسى — وفيها بقايا الحصن الذي شيده الملك « بودوان الثاني » عام ١١٢٧ ميلادية اثناء الحروب الصليبية ٠

٧) « يوسيبيوس » كتب تاريخه حوالي عام ٣٢٧ ميلادية ٠

٨) لم تصبح زيارة آثار البتراء آمنة تماما الا بعد عام ١٩٢٥ ٠ كان سكان منطقة وادي موسى لا يرحبون بزيارة الاجانب للاثار حتى لا يترتب على ذلك تدخل الحكومة في شؤونهم ، ووصل بهم الامر الى حد مهاجمة اول نقطة بوليس من جنود الفرقة العربية الذين ارسلتهم حكومة شرقي الاردن لحماية زائري الاثار وقتلوا افرادها القليلين ، ولكن موقف الحكومة الحازم وانزال العقاب الشديد على المعتدين كان درسا هم في اشد الحاجة اليه ٠

الاوائل اقتصر في أغلب الحالات على الوصف العام وترديد الاعجاب الشديد بالمكان وبالآثار . ونشر بعض رسوم لها . ولكن حدث في عام ١٨٦٤ أن زارها الدوق «دي لين» (Duke de Lynes) ونشر عن آثارها مؤلفا ما زالت له مكانته رغم مضي أكثر من قرن من الزمان على كتابته . لم يكتف « دي لين » بوصف ما رآه من آثار وعمل رسوم لها بل عقد مقارنات وخرج من دراساته بأنها من العصر النبطي أي أنها بدأت في القرن الثاني قبل الميلاد ولكن المباني الكبيرة التي يظهر فيها تأثير العمارة اليونانية والرومانية ظهورا واضحا فأن تاريخها الى القرن الأول قبل الميلاد وما تلاه . وهو تقدير صحيح بوجه عام .

واحتلت آثار الأنباط جزءا كبيرا من المؤلف الهام الذي نشره « كليرمون جانو » (Ch. Clermont - Gannean) الذي كتبه في ثمانية أجزاء ظهرت بين أعوام ١٨٨٨ و١٩٢٤ وفيما كتبه « رينيه ديسو » (R. Dussaud) مؤلفه عن رحلته الأثرية في مناطق الصفا وجبل الدروز ، وقد نشر في باريس عام ١٩٠١ وكذلك مؤلف العالم « ماكليه » (F. Macler) وهو تقرير عن مهمته العلمية التي أوفد فيها لدراسة المناطق الصحراوية في وسط سوريا والذي نشره في عام ١٩٠٤ . ولكن أهم المؤلفات عن آثار هذه المنطقة من العالم حتى وقت نشره هو المؤلف المعروف باسم « الولاية العربية » لمؤلفيه برنيو فون دوماسفسكي [٩] ، ومن أهم المؤلفات التي ظهرت أيضا قبل الحرب العالمية الاولى مؤلف الأبين « جوسان وسافيناك » عن آثار العلا ومداين صالح ، وفيها كثير عن الآثار النبطية ، وتكاد تكون في المرتبة الثانية في الاهمية بعد البتراء .

كانت كل هذه المؤلفات التي ذكرناها تتحدث عن آثار الأنباط كجزء من آثار منطقة كبيرة . أما

أول مؤلف علمي جاد عن آثار البتراء وحدها فهو مؤلف العالم الالماني « دالمان » وعنوانه : « البتراء ومبانيها المقدسة المنحوتة في الصخر » .

G. Dalman, Petra und Seine Felsheiligtumer, Leipzig, 1908.

ثم نشر بعده كتابا آخر في عام ١٩١٢ وفيه المزيد من البحوث عن البتراء وهو كتاب

Neue Petra-Forschungen und der heilige Felsen von Jerusalem, Leipzig, 1912.

وما زالت بحوث دالمان في هذين الكتابين وما نشره فيهما من رسوم ومقاطع لما فيها من آثار أهم مصدر حتى الان وما زالت آراؤه في تاريخ أكثرها قبولا بوجه عام لدى أكثر رجال الآثار [١٠] .

هذه هي أهم المؤلفات التي نعتبرها حتى الان المصادر الرئيسية حتى قيام الحرب العالمية عن الآثار النبطية والنقوش وغيرها بوجه عام ، ولكن الى جانب هذه المؤلفات توجد معلومات أخرى ومجموعات من النقوش النبطية في مؤلفات علماء آخرين مثل « دوتي » (Charles Daughty) و « هوبر » (Charles Huber) و « دي فوجيه » (Melchior de Vogue) و « أويتنج » (Euting) و « شابو » (Jean Baptiste Chabo) و «ليتمان» (Enno Littmann) وقد نشر كل ما ظهر منها حتى عام ١٩٠٧ في الجزء الاول من سجل النقوش السامية (Corpus Inscripticonum Semiticarum) أما ما استجد بعد ذلك حتى عام ١٩٦٥ فهي في الجزء الثاني .

بعد الحرب العالمية الاولى

دخلت الدراسات النبطية بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى مرحلة جديدة فلم يعد من السهل اصدار مؤلفات ضخمة في عدة مجلدات باسم شخص واحد ، وقنع العلماء بنشر بحوثهم في مقالات في المجلات العلمية الخاصة بعلوم الاستشراق .

---

٩) ما زال هذا المؤلف يحتل مكانة كبيرة بين المصادر العلمية ومرجعا لا يمكن الاستغناء عنه لكل من يريد دراسة تاريخ المنطقة وآثارها ، وقد جمع فيه المؤلفان خلاصة ما كتبه القدماء او المحدثون مع تحليل لما ورد فيها من معلومات وآراء ..

١٠) نتائج بحوث دالمان والرسوم الهندسية التي قام بعملها المهندس المعماري (نيوتون) منشورة باللغة الانكليزية ايضا في حوليات جمعية الآثار الفلسطينية عام ١٩١١
(Annual of Palestine Exploration Fund, 1911).

ومنذ عام ١٩٢٥ ، بعد استقرار الحالة في منطقة البتراء ، بدأ بعض الأثريين يفكرون في القيام بعمل حفائر منتظمة ولمدد طويلة في البتراء فكانت حفائر الابتاذ «هورسفيلد» والسيدة زوجته (G. and A. Horsfield) منذ عام ١٩٢٩ وكذلك حفائر نلسون جلك (Nelson Glueck) بالاشتراك مع مسز هورسفيلد ، وذلك أهم ما جرى من حفائر بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ٠

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت دائرة الآثار نشاطا ملموسا في حفر المناطق الاثرية سواء في البتراء أو في المناطق الاخرى ، واستن مديرها اذ ذاك «لانكستر هاردنج» (G. Lankester Harding) منذ عام ١٩٥٤ سنة جديدة وهي اشتراك الدائرة مع علماء من جمعية الآثار البريطانية في القدس أو مدرسة الآثار الامريكية للبحوث الشرقية في القدس ليقوموا بالاشراف على الحفائر ، وتمدهم دائرة الآثار بكل ما يلزمهم من عمال وأدوات العمل والاقامة ، وقد حظيت البتراء بعناية كبرى ولكن كانت هناك حفائر أخرى ناجحة مثل حفائر « خربة التنور » التي أشرف عليها « نلسون جلك » وقد سار المرحوم الدكتور عوني الدجاني على نفس السياسة فارتبط أسماء عدد من البريطانيين والامريكيين باسم البتراء ومن أهمهم « كيركبريد » (D. Kirkbride) و « رايت » (C. R. H. Wright) و « بار » (F. J. Par) و « هاموند » (Philip C. Hammond) و «بنت» (C. M. Benett) ونشر كل منهم نتائج بحوثه في حولية دائرة الآثار العامة الاردنية وغيرها من المجلات العلمية ٠

ومن الخطأ أن يعتقد انسان أن الذين يقومون بالحفائر ويعثرون على آثار جديدة أو نقوش جديدة هم وحدهم الذين يقومون بالكتابة عنها علميا ٠ فان العثور على آثار مدينة أو معبد أو بعض اللوحات والتماثيل والنقوش شيء ودراستها دراسة علمية كاملة شيء آخر ٠ فمن المحتمل جدا أن يكون العالم الذي يرأس الحفائر متخصصا في تاريخ احدى الحضارات مثلا أو متضلعا في لغة من اللغات القديمة ، ولكنه يعثر على أشياء تحتم عليه الاستعانة بآخرين ٠

وعلى أي حال ففي كل ميدان من ميادين الدراسات القديمة نجد علماء يحتلون أرفع مكانة في دراساتهم في التاريخ أو في اللغة أو في الديانة أو في الحضارة دون أن يكونوا قد قاموا مرة واحدة بالاشتراك فى الحفائر بل أن بعضهم لم يقدر له ، ولو مرة واحدة في حياته ، زيارة البلد الذي ظهرت فيه تلك النقوش ، وانما تعتمد بحوثهم كلها على ما سبق أن نشره الآخرون وما يصل اليه من زملائه الاخرين ٠

وقبل أن أنتقل من الحديث عمن وضعوا أسس الدراسات النبطية ومن لمعت أسماؤهم فيما تم من حفائر أرى من الاوفق تلخيص موقفنا الان من الدراسات النبطية ٠

أهم ما يجب معرفته عن الدراسات النبطية في الوقت الحاضر

نجد في ميدان النقوش أن ألمع اسمين هما « ستاركي » (J. Starcky) و « ميليك » (J.T. Milik) وقد نشر كل منهما مقالات كثيرة عن النقوش وقد عهدت اليهما الاكاديمية الفرنسية بنشر الجزء الثاني من النقوش النبطية في الـ CIS (Corpus Inscriptionum Semiticarum ومنذ سنوات قلية ظهر بحث ممتاز للأب « ستاركي » عن الأنباط في ملحق قاموس التوراة Supplement au Dictionnaire de la Bible, Fasc. 39 (1964) art «Petra et La Nabaténe», Col. 886 - 1017 الذي صدر عام ١٩٦٤ ٠ وهو بحث علمي جدير بصاحبه جمع بين دفتيه خلاصة ما توصل اليه العلماء ونتائج بحوثه الشخصية ٠

أما في ميدان اللغة فما زال مؤلف « كونتنو » الذي صدر في جزئين عامي ١٩٣٠ ، ١٩٣٢ المصدر الرئيسي حتى الان Contineau, L Nabatien, 2 Vols. Paris,

ولكنا نجد أيضا المزيد عن هذا الموضوع في كتاب أحدث منه وهو كتاب العالمين « جان » و « هوفسيجر Jean et Hofziger, Des inscriptions semitique de (Leiden, 1960).

وفي ميدان النميات (العملة) توجد اشارات كثيرة في بعض البحوث ولكن لم يصدر في الاعوام القريبة أي بحث يحل محل مقال «ديسو» R. Dussaud, «Numismatique des rois de Nabaténe», Journal Asiéatique 1904, L, p. 189 — 238.

وكذلك ما ورد في القسم الخاص بالعملات النبطية في المتحف البريطاني G. F. Hill' Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persisa, (British Museum). London. أما في الديانة فلدينا عنها شيء غير قليل في البحوث التي نشرها « ليتمان » و « ديسو » و « ستاركي » وغيرهم ، وأحدث ما ظهر في هذا الموضوع ما كتبته « ماريا هوفنز » وذلك في مقالها عن ديانات شمال ووسط الجزيرة العربية في المؤلف الكبير المعروف تحت اسم « قاموس الميثولوجيا » الذي ظهر في عام ١٩٦٢ · H. W. Haussig, Wôterbuch der Mythologie (1965). وفي ميدان الآثار بوجه عام ، وتاريخ الانباط فان أحدث المؤلفات هو كتاب « نلسون جلك » الذي أشرنا اليه من قبل واسمه الكامل Nelson Glueck. Deites and Dolphins: The Story of the Nabataeans وقد نشر فيه نتائج حفائره في خربة التنور ، وقارن ما عثر عليه في تلك الحفائر بما يماثلها أو يشابهها من مناطق كثيرة أخرى وبالرغم مما يوجد في هذا الكتاب من مآخذ فهو من الكتب التي لا يمكن تجاهلها عن آثار الانباط وتاريخهم، ويحتوي على أسماء أهم المراجع كما نجد فيه ايضا نتائج دراسات هذا العالم في حصر المناطق الاثرية النبطية في الاردن وفي صحراء النقب وسيناء ·

موضوعات للمناقشة

والان ، وبعد هذا العرض السريع لبعض النواحي في الدراسات النبطية ومدى التقدم فيها وأهم ما ظهر فيها من بحوث هي في الواقع متصلة بحضارات سامية أخرى مثل حضارة السبأيين ، والثموديين ، واللحيانيين ، والصفويين ، والتدمريين ، والعبرانيين ، والاراميين ، والعرب وغيرهم ، يحق لنا أن نقف لنتساءل عما اذا كان أولئك العلماء متفقين تماما على جميع النقاط · والجواب على ذلك أن الدراسات النبطية سارت في الطريق الذي تسير فيه كل الدراسات المماثلة ، ولكنها لا زالت في مستهلها حتى الان ·

بدأت هذه الدراسات بسيطة ومحدودة وعلى هامش الدراسات السامية الاخرى ، ثم جاء اليوم الذي وجدت فيه من يعنى بها عناية خاصة ،وذلك بوضع المؤلفات الجادة الرصينة عن آثارها ، وبخاصة آثار البتراء وتسجيل جميع النقوش النبطية ، أينما كانت ، وقد تم الجزء الاكبر من ذلك قبل بدء الحرب العالمية الاولى ، ووجدت من أقبل عليها من كبار علماء الاستشراق ، وتلقت هذه الدراسات مددا جديدا من نتائج الحفائر في الاردن وخارج الاردن ، وكان هذا مددا جديدا يؤكد أحيانا ما سبق الوصول اليه من نتائج ، وفي أحيان أخرى يثير الشك فيما سبق قبوله أو يهدمه ، كما أخذنا نقف على معلومات كثيرة جديدة في بعض النواحي الحضارية ، وبخاصة في الفنون ·

وفي مثل هذا البحث لا يمكن الدخول في التفصيلات ، واكتفى بذكر بعض الاتجاهات الحديثة في دراسة تاريخ الانباط مكتفيا بالخمسة الآتية : ـ

أ ـ أصل الأنباط وبدء استقرارهم في بلاد ادوم ومؤاب ·
ب ـ أين كانت أول عاصمة لهم ؟
ج ـ مدى انتشار الفن النبطي ·
د ـ الخط النبطي والخط العربي ·
هـ ـ هل اندثرت لغة الانباط اندثارا تاما ؟

ولنبدأ الان مناقشة النقطة الاولى منها ·

أصل الأنباط وبدء استقرارهم في بلاد أدوم ومؤاب

الانباط عرب ، ولا شك في ذلك على الاطلاق ، ولكن هل كانوا من سكان المنطقة الاصليين أم أتوا من مكان آخر ؟ والجواب على ذلك أنه من المتفق عليه أنهم أتوا من شبه الجزيرة العربية ، ولكن الجديد في الموضوع هو تحديد المنطقة التي كانت في يوم من الأيام موطنهم الاصلي الذي نزحوا منه ·

ان دراسة لغتهم وعاداتهم وديانتهم ، وبعض مظاهر حضارتهم لم تحل هذه المشكلة حلا تاما حتى الان ، بل يمكننا أن نقول أنها عقدتها بعض الشيء · فهناك رأي يقول بأنهم أتوا من نجد ، ورأي ثان بأنهم هاجروا من حضرموت ، والرأي

الثالث أنهم هاجروا من اليمن ، واني أميل شخصيا الى قبول الرأي الاخير ٠

لم يكن أولئك القادمون بدوا من الصحراء ويجهلون الحضارة ، بل كانوا ، أو كان بعضهم على الاقل ، يعرفون الزراعة وبعض أساليبها المتقدمة ويعرفون أيضا كيف يستفيدون من مياه الامطار وذلك باقامة السدود ، واقامة خزانات المياه ، المفتوحة منها والمغلقة ، وبالرغم من أنهم كانوا يميلون لحياة البداوة بوجه عام الا أن فريقا كبيرا من بينهم كان يميل الى الحياة المستقرة في قرى أو مدن آمنة ٠

ومن الثابت الان أنهم لم يأتوا من موطنهم الاصلي في جنوبي الجزيرة العربية الى أدوم ومؤاب مباشرة بل استقروا فترة من الزمن في الحجاز ، وقد تركت تلك الاقامة التي امتدت فترة غير قصيرة ، أثرها فيهم اذ ألفوا عبادة الآلهة التي وجدوها في موطنهم الجديد في وسط شبه الجزيرة العربية وشمالها ، فلما نزحوا من ذلك الموطن بعد أن أقاموا على الاقل قرنا من الزمان هناك ، حملوا معهم آلهتهم الجديدة وبعد أن كانوا قد تركوا عبادة آلهتهم التي كانت في جنوبي الجزيرة ٠

لم تكن المنطقة التي حلوا فيها ، وهي بلاد أدوم ومؤاب خالية من السكان بل كانت عامرة بأهلها ، وكانت قد شهدت في عصور سابقة حضارات قديمة ، كانت على درجة من التقدم منذ الالف الثالث قبل الميلاد ولم تكن بمعزل عن تيار النفوذ المصري في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد ، وقامت فيها مدن ودويلات صغيرة في ذلك الوقت وفي أوائل الالف الاول قبل الميلاد كما نعرف من التوراة ومن نتائج الحفائر اذ عثر على كثير من آثار العصر الحديدي في كثير من الاماكن في هذه المنطقة ٠

وحدث مع الانباط عند قدومهم ما يحدث دائما في مثل هذه الظروف ، وهو تأثر القادمين الجدد بالسكان القدامى ،وظهور نوع من الثقافة المشتركة بعد أن يتم الاختلاط بين الاثنين ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الاستيعاب ٠

وهنا نقف أمام تساؤل جديد وهو أصل أو معنى كلمة « نبط » أو « أنباط » ٠ كان لقب ملوك الانباط هو « ملك النبط » فهل كان اسما للمكان أم اسما للقبيلة أو القبائل الجديدة التي وفدت أو كان اسما لقوم عاشوا في المنطقة من قبل ؟

يجد القارىء في المؤلفات التي ظهرت عن الانباط أن أول اشارة الى اسمهم وردت في التوراة ، في سفر التكوين في الاصحاح ٢٥ الآية ١٢ ــ ١٣ عند الحديث عن سيدنا ابراهيم وابنه اسماعيل ٠ فقد ذكرت التوراة أن أول من ولد لاسماعيل هو ابنه « نبايوت » وتكرر ذكر هذا الاسم في الاصحاح (٢٨) الآية ٨ ــ ٩ عندما ذهب « عيسو » ابن ابراهيم الى اسماعيل وتزوج « مهالات » أخت « نبايوت » أي تزوج من بنت أخيه ٠

وبالرغم من أن عيسو هو المذكور في التوراة بأنه « أبو الادوميين » (١١) فان الاتجاه العلمي الحديث في السنوات الاخيرة يشك في أن الانباط المعروفين هم المذكورون في التوراة أو أن أصل اسمهم مشتق من « نبايوت » رغم التشابه بين الكلمتين (١٢) ٠

---

١١) لم ترد كلمة « ادوم » في التوراة كاسم لمكان او منطقة جغرافية محدودة وانما وردت كاسم قوم او شعب ، فنجدها مثلا تذكر كبلاد ادوم ، وكحقل ادوم ، وبرية ادوم .. الخ . وهناك اختلاف في الرأي بين العلماء على معنى كلمة ادوم فيفسرها البعض على انها اسم اله (مثلا : عبد أدوم) ، واحيانا ان معناها احمر كصفة للون احجار المنطقة وبخاصة في المنطقة الشرقية من وادي عربة ويفضل البعض تأكيد اصلها الى ما ورد في التوراة من ان عيسو التوأم الاكبر لرفقة ولد احمر اللون ، ولكنا نعرف ايضا انه لم يسمى « ادوم » .
ومن المعروف ايضا ان اسم « ادوم » ورد في النصوص المصرية القديمة كما ورد ايضا في النصوص الاشورية وكان ينطق « او ــ دو ــ مو » ويمكن تفسيرها بأنها مشتقة من كلمة بمعنى « يخرج » او « ينتج » وربما اصبحت فيما بعد بمعنى « ارض » او « تربة » .

١٢) هذا رأي نلسون جلك في كتابه Deities and Dolphins,

ويتكرر هذا الشك فيما سبق ان اتجه اليه بعض العلماء من أن الانباط جاء ذكرهم في نص آشوري من عهد الملك « أشور بانيبال » (٦٦٨ ـ ٦٦٣ ق٠م) اذ ورد اسم « النباياتين » (Nabaiteans) بين من أخضعهم في حروبه ضد العرب ، ولكن ليس هناك ما يعزز القول بأنهم أجداد الانباط ٠

واذا رجعنا الى اللغة العربية فانا نجد أن «نبط» تدل على الماء عندما يخرج من باطن الارض ، ثم تطور معناها فأصبحت بمعنى يظهر أو يتجلى (١٣) ٠

والخلاصة أن كلا من الموطن الاصلي للانباط وأصل اسمهم ما زالا موضوعين مفتوحين للمناقشة ، وكل ما نستطيع قوله ، حسب معلوماتنا الحالية أن « النبط » اسم لقوم وليس اسما لمنطقة ، كما أن أول ذكر مؤكد للانباط لا يرجع الا الى عام ٣١٢ ق٠م٠ أي في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد عندما هاجم « انتيجونس » Antigonus Cyclops الانباط ونهب عاصمتهم البتراء ٠

أين كانت أول عاصمة للأنباط ؟

وأنتقل الان الى موضوع آخر هو الموضوع الخاص بالمكان الذي قامت فيه أقدم عاصمة للانباط ، هل كانت في البتراء ، أم أنها كانت في مكان آخر ٠

لا يمكننا ، حتى الان ، تحديد تاريخ معين لخروج الانباط من موطنهم الاصلي في جنوبي الجزيرة العربية ، ولا يمكننا أيضا تحديد تاريخ دقيق لمدة اقامتهم في الحجاز ، أو تحديد المدة التي قضوها هناك قبل أن يهاجروا منها الى أدوم ٠ ولكن هناك من القرائن ما يجعلنا نرجح ترجيحا كبيرا أنهم بدأوا هجرتهم الاولى في القرن السادس قبل الميلاد ، كما أنه من المرجح أيضا أنهم أتوا الى بلاد أدوم في القرن الخامس قبل الميلاد أي أن اقامتهم في الحجاز كانت نحو قرن من الزمان ، فهل اتخذوا البتراء منذ استقرارهم في بلاد أدوم عاصمة لهم ؟

كان الرأي السائد هو أن البتراء كانت عاصمتهم منذ البداية ، ولكن المتفق عليه الان هو أنه كانت للانباط عاصمة ، وأن هذه العاصمة كانت في بقعة أخرى قبل أن تنتقل الى البتراء ـ وبعبارة أخرى أن « سلع » وصخرة « أدوم » المذكورتين في التوراة تدل على مكان آخر ٠

وجد هذا الرأي من يدافع عنه بحرارة في شخص العالم الفرنسي الأب ستاركي الذي حدد مكان تلك العاصمة الاقدم في موقع أثري يسمى « بصيرة » وهي على مسافة خمسين كيلو مترا تقريبا شمالي البتراء ، وفي موقع استراتيجي هام تحيط به منطقة مزروعة تتوفر لها المياه الكافية ، وهي فوق جبل مخروطي الشكل تتوجه خرائب قديمة ويصعب الوصول الى قمته الا من طريق واحد فقط ٠ ويعترف ستاركي بأنه لا يوجد بين تلك الخرائب التي فوق قمة الجبل أي شيء من تلك المميزات المعروفة عن فن الانباط ٠

ولم يسلم هذا التحديد من النقد ، وبخاصة من « نلسون جلك » الذي رفضه وأراد بدوره أن يحدد مكان تلك العاصمة « صخرة أدوم » « بأنها أم البيارة » وهي موقع في داخل منطقة البتراء غربي الجزء الاوسط من المدينة ، وفوق تل يرتفع مائتي متر تقريبا عما حوله ٠ ويعتمد « جلك » في هذا التحديد على ما كشفت عنه حفائره التي أجراها هناك بالاشتراك مع مسز هورسفيلد ، وكشفت عن وجود خزانات للمياه وآثار يرجع تاريخها الى العصر الحديدي ،ويرى في هذا المكان أنسب موقع ، بل المكان الاوحد لسلع المذكورة في التوراة ولكن هذا الرأي وجد معترضين كثيرين ٠

---

١٣) قارن ذلك بترجمة كلمة « أو ـ دو ـ مو » التي اشرت اليها في الهامش رقم (١١) ٠

وهناك رأي ثالث وهو أن العاصمة الاقدم لم تكن في البصيرة أو في أم البيارة ، بل كانت في الـ « جايا » وتعرف الان تحت اسم « الجي » وهي ضمن منطقة عيون موسى شرقي السيق ، وفي هذه المنطقة آثار من أقدم آثار الانباط تنتشر حول القرية وفوق قمم المرتفعات المحيطة بها ·

واذا وازنا بين المواقع الثلاثة ، وحللنا ما ساقه أصحاب هذه النظريات من أدلة ، ودرسنا اعتراضات من اعترض عليها فأنا نصل الى نتيجة تقول بأن مكان « أم البيارة » لا يمكن الاخذ به لضعف أدلة جلك وتصميمه على أن ما وجده من بقايا الجدران وقطع الفخار يجب أن تكون بقايا حصن من عهد دولة « يهودا » وافتراضه دون أسباب مقنعة اقناعا تاما ، ان هذا الحصن لم يستمر عامرا الا الى أوائل القرن السادس قبل الميلاد ، فان ما ساقه من أدلة لا تكفي لقبول هذه النظرية ·

وكذلك الامر في النظرية الخاصة بموقع «جايا» فانها جزء من البتراء ولا ينطبق عليها وصف صخرة الادوميين ·

والواقع أن كلا من « أم البيارة » و « جايا » بعيدان عن الطريق الرئيسي للقوافل ، فاذا كان الانباط الاوائل عند قدومهم مع درب القوافل قد استقروا في مكان ما فالمعقول أن يكون هذا المكان واقعا على الدرب نفسه ، وهذا ما ينطبق على موقع البصيرة فهي تقع على درب السلطان الذي يسمى ايضا طريق السلطان وفي مكان تتوفر فيه المياه والاراضي الصالحة للزراعة بعكس أم البيارة ، كما أن وجود ذلك التل المنيع يتفق مع الوصف الوارد بشأن « صخرة الادوميين » ·

حل الانباط الاوائل حول البصيرة ، ولم يمض عليهم وقت طويل حتى ثبتوا أقدامهم وتكاثروا وانتشرت قراهم في رقعة كبيرة حولهم ، وخصوصا في المناطق التي كانت عامرة في عهد الادوميين ، ومن بينها « البتراء » وكان زعماؤهم يقيمون في البصيرة الى أن حان الوقت الذي ازدادت فيه ثروتهم وازداد نفوذهم فاختاروا مكانا أشد منعة وأكثر أمنا لهم ، ووجدوا في البتراء خير ما يحقق هدفهم فجعلوها عاصمة لهم وخصنا يحفظون فيه أموالهم · ومن المحتمل جدا أن يكون انتقالهم الى العاصمة الجديدة « سلع البتراء » في مستهل القرن الرابع قبل الميلاد ·

مدى انتشار الفن النبطي

ولنترك الان موضوع العاصمة وننتقل الى موضوع اخر وهو مدى انتشار الفن النبطي ·

في عام ١٩٣٥ بدأ يظهر في مصر اتجاه جديد في دراسة الفن القبطي وهو الفن الذي انتشر في مصر بعد انتشار المسيحية ، وذلك بعقد مقارنات بينه وبين الفنون الاخرى في البلاد الشرقية المجاورة مثل سوريا وبين فنون بلاد أخرى مثل الهند وغيرها · وكان من بين الامثلة التي ساقها بعض أولئك الباحثين وعلى رأسهم « اتيين دريوتون » (١٤) أمثلة من النقوش التي عثر عليها في بعض الكنائس المسيحية في أهناسيا المدينة في محافظة بني سويف وفي البهنسا في محافظة المينا ويرجع تاريخها الى القرن الخامس الميلادي·

وبالرغم من أن الكثيرين من المتخصصين في الفن القبطي والمتخصصين في الفن المصري القديم رفضوا نظرية التأثير المباشر من الفن النبطي ، فان المهتمين بالدراسات النبطية تلقفوا هذا الرأي وتمسكوا به حتى الان دون نظر الى الاعتراضات لانهم وجدوا في هذه النظرية رفعا من شأن الانباط والفن النبطي (١٥) ، وفاتهم أمران على جانب كبير من الاهمية ، أولهما فارق الزمن فان ما عثر عليه في مصر كان زخارفا لكنائس من القرن الخامس حتى القرن السابع الميلادي بينما ما قدموه من أمثلة من الفن النبطي يرجع تاريخه الى القرن الاول الميلادي على الاكثر ، وينسون أن

---

(١٤) E. Drioton «Art Syrien et art Copte», Bulletin de l'association de amis de l.'art Copte III (1937), pp. 29 - 40.

١٥) احدث المتمسكين بهذه النظرية « نلسون جلك » في كتابه Deities and Dolphins الذي ظهر في عام ١٩٦٥ — انظر مثلا صفحة ٥٣٤ من ذلك الكتاب .

الانباط دخلوا في فترة ضعف واضمحلال منذ النصف الثاني من القرن الاول الميلادي ، وخضعوا لحكم الرومان المباشر منذ عام ١٠٦ ميلادية ·

أما الامر الثاني فهو أن العناصر الاصلية في الفن القبطي معروفة ، وبقي الاقباط محافظين على بعضها حتى اخر أيامهم ، ولكن الانباط ولوا وجوههم في أيام ازدهارهم ، نحو حضارات أخرى فاقتبسوا منها ما راق لهم ، ولم يقتصروا على الفن اليوناني والفن الروماني فقط بل كان لفنون بارثيا وأرمينيا والبلاد السورية أثر عليهم ، زد على ذلك ما نتوقعه أيضا من وراء صلتهم بمصر وبجنوبي الجزيرة العربية ·

ومن المعروف أن مصر ، بعد أن ضعفت وخضعت لحكم الرومان ، واستبدلت دينها القديم بالمسيحية ، أراد مسيحيوها أن يبتعدوا قدر استطاعتهم عن الوثنية وكل ما يتصل بها ، وولوا وجوههم شطر بلاد أخرى وفنون أخرى وكان من يأتي للمساعدة في تشييد بعض الكنائس المسيحية وزخرفتها عمال من سوريا وارمينيا ، ولهذا فمن المعقول ، والاقرب الى المنطق ، أن نعتبر ما ظهر من تشابه بين الفن النبطي والفن القبطي راجعا الى أن كلا منهما استقى من مصادر واحدة ·

وليس معنى رفض نظرية التأثير المباشر لفن الانباط على الفن القبطي في مصر انكار وجود أي علاقة بين الانباط وبين سكان وادي النيل ، بل الامر على العكس من ذلك ، فقد كانت بين الاثنين صلات غير قليلة ، وكان كثير من الانباط يقيمون في مصر ، وكان منهم من يحمل التجارة اليها عبر الصحراء ، وكان كثير من الانباط يعملون جنودا في نقط الحدود التابعة للجيش الروماني ، وعثر على كثير من النقوش النبطية في سيناء وفي الصحراء الشرقية ، كما عثر أيضا على معابد صغيرة شرقي قناة السويس ، ولكنها خالية من النقوش ويظن أنها نبطية ، ولكن هذا كله لا يقدم لنا أي دليل على أن الكنائس المصرية في القرن الخامس الميلادي أخذت بعض عناصرها الزخرفية في فن النحت من الفن النبطي الذي كاد أن يكون فنا مندثرا في القرن الرابع الميلادي ·

الخط النبطي والخط العربي

أصل الان الى الموضوع الرابع ، وهو موضوع أصل الخط العربي ، وهل هو مأخوذ أو مشتق من الخط النبطي ·

انتشر الخط الآرامي واللغة الآرامية انتشارا واسعا في أكثر بلاد آسيا العربية لمدة عدة قرون، وقد اتخذت شعوب كثيرة ممن تفرعت عن الكنعانيين أو الآراميين هذا الخط كوسيلة لتسجيل وثائقهم ·

وعندما ضعف نفوذ الدولة السلوقية ، أخذت بعض الشعوب التي تعيش في المناطق الداخلية من البلاد ، مثل الانباط والتدمريين ، تعود الى ما كان لها من لغات أصلية ، وأخذت طرق كتابتهم تختلف فيما بينها حتى أصبح لكل قوم منهم أسلوبه الخاص ·

واذا درسنا الخط النبطي بوجه عام ، نجد فيه بعض التغييرات التي نشأت تبعا لازمنة كتابتها ، واذا درسنا أيضا النقوش النبطية التي عثر عليها في الاردن وفي حوران ، وفي جبل الدروز ، وفي الحجر (مداين صالح) وفي صحراء سينا نجد اختلافات فيما بينها ، وذلك راجع الى بعض التطورات المحلية في كتابة بعض الحروف ·

والنقطة التي أريد الحديث عنها الان ليست الخط النبطي أو أصله أو تطوره انما هي موضوع آخر متفرع منه ، فالفكرة السائدة منذ وقت غير قصير هي أن الخط العربي مشتق من الخط النبطي ، وهذا ما دافع عنه الدكتور خليل يحيى نامي في عام ١٩٣٤ ودعمه بأدلة متعددة ، وقد قبل آراءه عدد كبير من المستشرقين المتخصصين في هذه الدراسات وبينهم الدكتورة « نابيا أبوت » في كتابها الذي طبع عام ١٩٣٩ عن نشأة

الخط العربي الشمالي وتطوره في كتابة القرآن (١٦)

ومن بين العلماء الذين قبلوا رأي الدكتور نامي « الأب ستاركي » ولكن عالما محققا آخر وهو الدكتور « ميليك » (J. T. Milik) تقدم منذ سنوات قليلة برأي آخر اذ قال أنه عند بحثه عن أصل الخط السوريانى وجد أنه يمكن تفسير أصل كثير من الحروف العربية ، والخط العربي القديم بوجه عام اذا قارناها بالخط السوريانى وليس الخط النبطي ·

ولكن قبل أن يعلن « ميليك » رأيه بسنوات كثيرة سبقه « أدولف جروهان » (١٧) في عام ١٩٥٤ الى التساؤل عما اذا لم يكن يوجد الى جانب الكتابات العربية التي عثر عليها في سوريا ، وفي زبد وفي حران ، مصدر تأثير آخر في العراق حتى يمكن تفسير بعض مميزات الخط الكوفي في النسخ القديمة من القرآن ، تلك النسخ التي كتبت في الكوفة ، وهي المدينة التي شيدت على بعد ثلاث كيلو مترات شمالي الحيرة وحلت مكانها كعاصمة في القرن الاول الهجري ·

واذا رجعنا الى ما ذكره العرب أنفسهم عن أصل الخط العربي نجد أكثر من رواية وبينها كثير من التناقض ، ولكن احدى هذه الروايات، ويرجع تاريخها الى القرن الثاني الهجري ،جديرة بالذكر وقد لفت اليها جروهمان الانظار وهي ما رواه « البلاذري » في كتاب فتوح البلدان (١٨) ، ويقول فيها أنه قبل ظهور النبي عليه الصلاة والسلام وضع ثلاثة من قبيلة طيء هذا الخط الذي أخذوه عن السوريان في « بقا » وهي بلدة على مقربة من الحيرة عاصمة اللخميين وتبعد حوالي ١٦٠ كيلو مترا الى الجنوب من بغداد ، وأنه سرعان ما انتشر هذا الخط ووصل الى الحيرة والى الانبار (١٩) · وأخيرا أتوا بهذا الخط الى مكة ، أتى به أحد المسيحيين ، وكان يسمى « بشر » وهو أخو الاكيدر أحد زعماء كندة ،وكان في الدومة ·

ويناقش ستاركي هذا الموضوع في ملحق قاموس التوراة (٢٠) ، ويقول أنه لو صرفنا النظر عن النظرية القائلة بأن الخط النبطي هو أصل نقش « زبد » ونقش « حران » (٢١) ، فان الامر يصبح أكثر سهولة ، ونستطيع أن نقول أن الخط العربي في عصوره الاولى مشتق من الخط السوريانى الذي كان مستخدما في عاصمة اللخميين ·

ومما يدعو الى الاسف أن المنطقة التي تقع فيها عاصمة اللخميين لم تحفر حفرا علميا منظما حتى الان ، وبالتالي لم يعثر فيها على نقش واحد من هذا النوع مع أننا نعلم علم اليقين ، أن الكتابة كانت معروفة في هذه المنطقة وقد ذكر ياقوت نص نقش تأسيس الدير الذي شيدته الاميرة المسيحية « هند » أم الملك اللخمي « عمرو » الذي عاش في منتصف القرن السادس الميلادي ·

وعلى أي حال ، فمن المعقول أن يكون في بلاط ملوك الحيرة محررون للرسائل وأنأولئك الكتاب كانوا يستخدمون الخط الديواني في كتابة ما يلزم تحريره الى رعايا اللخميين الذين يتحدثون بالعربية ، وكان منهم الوثنيون والمسيحيون ·

ولكن قبل أن نميل الى الاخذ بالرأي الذي يقول بالبحث عن أصل الخط العربي عند اللخميين ، أو نرجحه ، يجب أن لا ننسى أنه في الوقتالذي ازدهر فيه اللخميون كانت هناك دولة أخرى عربية الاصل ، وهي دولة الغساسنة التي كانت

---

١٦) N. Abbott The Rise of North Arabic Script and Its Kuranic Development (Chicago, 1939, p. 4 and pl. V.

١٧) A. Grohmann, Einfuhrung and Chrestamathis zur arabischen Papvrus Kund, (1954) p. 90

١٨) البلاذري — فتوح البلدان (طبعة القاهرة ، ١٩١١) صفحة ٤٧٦ .

١٩) معسكر الساسانيين في العراق في ذلك الوقت : وهو على مسافة ٧٠ كيلومترا غربي بغداد .
Starcky, Suppl, au Dictionnaire de la Bible, Col. 1933

٢١) « زبد » في جبل شبث جنوب شرقي حلب والنقش المشار اليه مكتوب بثلاث لغات وهي اليونانية والسوريانية والعربية وتاريخه عام ٥١٢ ميلادية . اما نقش حران فهو مكتوب باليونانية والعربية وتاريخه ٥٦٨ ميلادية .

على صلة طيبة ببيزنطة وكان يعهد اليها الرومان بحراسة تخوم سوريا · فبالرغم من العثور على نقوش كثيرة في منطقة بلاد الغساسنة ، ويرجع تاريخها الى قبيل ظهور الاسلام ، فانا لا نجد من بين تلك النقوش ما يمكن أن نقول عنه أنه من نوع الخط الذي كتب بـه نقش زبد أن نقش حران ·

وقد أتيحت لي هنا في عمان فرصة مناقشة هذا الموضوع مع زميلي الدكتور نامي وتدارسنا النقط التي أثارها جروهمان ومبليك وتعقيبات ستاركي وتردده فقال أنه بالرغم من ذلك كله فما زال مؤمنا بصحة ما نشره قبل خمسة وثلاثين عاما وهي أن الخط العربي مأخوذ مـن الخط النبطي ووعدني بأنه سيعاود الكتابة فـي هـذا الموضوع ·

والان ، وقد أصبح موضوع أصل الخط العربي مفتوحا للمناقشة فعلينا أن ننتظر بعض الوقـت حتى تظهر وثائق جديدة ، أو تكتب بحوث جديدة، لنتمسك بالنظرية القديمة وهي أن الخط النبطي هو الاصل أو نقبل النظرية الجديدة وهـي أن الخط العربي مستمد من الخط السوريانى ، ذلك الخط الذي كان يستخدمه كتاب الديوان في بلاط ملوك الحيرة ·

هل اندثرت لغة الأنباط اندثارا تامـا ؟

وأخيرا أصل الى آخر نقطة في هذا البحث ، وهي ليست في حقيقة الامر موضوعا استجد فيه شيء أو تغير فيه رأي ، ولكنه اقتراح أو شبـه توجيه أرجو أن يضعه أحد القراء في ذهنه ويوليه شيئا من عنايته ، وهذا الموضوع هو التساؤل عما اذا كانت لغة الانباط قد تبخرت واختفت تماما من الوجود أم أن هناك أملا في وجود بقية منهـا ؟

لقد انتشر الاسلام بين الانباط وانتشرت معه لغة القرآن ولهجات القبيلة أو القبائل التي خرجت لنشر الدعوة ، فهل قضى ذلك على كل أثر لديانة الانباط ولغتهم وعاداتهم بين يوم وليلة ؟ الجواب على ذلك أن مثل هذا الامر لا يمكن حدوثه أو توقعه ، اللهم الا في ظروف نادرة غير مألوفة ، فعندما يغير الناس دينهم ، ويتركونه الى دين جديد ، تبقى بعض مظاهر الدين القديم ،خصوصا بين الطبقات الساذجة والفقيرة التي لم يكن لها نصيب من تعليم ، وكذلك الامر في شأن العادات فان تغييرها يحتاج الى قرون طويلة ، وخصوصا اذا لم يكن فيها ما يتعارض مع الدين الجديـد تعارضا صريحا ·

ولكن اذا وصلنا الى موضوع اللغة فأنا نجد أنها تستمر فترة طويلة مستخدمة بين أولئـك الناس ، في صورة من الصور ولو على نطـاق ضيق · ولنضرب مثـلا بمصر ، لقـد دخلهـا الاسلام ، ومعه كثير من القبائل العربية التـي سرعان ما انتشرت في أكثر أرجاء البلاد ، ولم يمض وقت كبير حتى أصبحت اللغة العربية لغة الدواوين ، ولا شك أيضا في أنها كانت الى حد كبير لغة التخاطب بين الوافدين الجدد ومـن اختلطوا بهم من أهل البلاد ، فهل اختفت اللغة القبطية بمجرد انتشار اللغة العربية ؟ والجواب على ذلك بالنفي ، فقد ظل الكثيرون من سكان مصر من مسيحيين ومسلمين يستخدمون اللغة القبطية كلغة للتعامل حتى القرن الثانـي عشر الميلادي على الاقل ، كما بقيت بعض قرى الصعيد تتحدث بها كلغة تخاطب ، وليس كلغة الكنيسة القبطية فقط ، حتى القرن الثامن عشر بل واوائل القرن التاسع عشر اذ نعرف مما كتبه علمـاء الحملة الفرنسية على مصر ، أن القائد «بونابرت» أظهر رغبته في سماع اللغة القبطية يتحدث بها اثنان فيما بينهما ·كان ذلك عام ١٨٠٠ فاحضروا له من بلدة قفط في الصعيد رجلا وزوجته ، وكانا متقدمين في السن · ومع التسليم بأنه لا يوجد الان في مصر عائلة واحدة تتكلم فيما بينها اللغة القبطية كلغة متوارثة عن الاجداد فان في اللغة العربية المستخدمة الان في مصر ، سواء فـي الدلتا أو في الصعيد ، مئات من الالفاظ التي ترجع الى اللغة القبطية ، وهي بدورها من اللغة المصرية القديمة ، ولا يقتصر الامر على المفردات بل نجد أثر لغة البلاد القديمة في تركيب الجمل في بعض اللهجات ، وهي غريبة علـى اللغـة العربية الفصحى ·

وليس الامر قاصرا على ذلك ، اذ يوجد حتى الان في مصر ، في بعض جهاتها النائية لغات أخرى غير اللغة العربية ، يتخاطب بها بعض السكان الذين ظلوا لا يعرفون غيرها ومن يتعلم منهم اللغة العربية يستخدمها كلغة ثانية مثل لغة أهل سيوة ولغة البشارية ولغتين في بلاد النوبة وهما الماتوكي والفيادتشي ·

ونجد الشيء نفسه ، في العراق فما زال البعض منهم يستخدمون مفردات كثيرة من لغة البلاد القديمة في اللهجات الدارجة ، وفي العراق . وفي سوريا ما زالت توجد بعض القرى التي ما زال أهلها يستخدمون الآرامية أو السوريانية فيما بينهم ·

ولو أردنا ضرب أمثلة أخرى لوجدنا الكثير من ذلك في جهات مختلفة من العالم بين مجموعات تعيش في شبه عزلة في بعض المناطق الجبلية أو النائية لان أمثال هذه المجموعات الصغيرة تعيش منطوية على نفسها بعد أن غلبها على أمرها الوافدون الجدد وأجلوهم عن أرضهم فلم يجدوا أمامهم الا الانطواء على أنفسهم ·

كان الانباط يعيشون في بلاد أدوم ومؤاب ، وكانت لهم لغتهم وديانتهم وعاداتهم فهل قضى وصول العرب المسلمين على ذلك كله ؟ وهل يمكننا أن نسلم بحدوث ذلك ونحن نعرف سماحة المسلمين الفاتحين ، ونعرف وعورة المنطقةونعرف ايضا أنها منذ ذلك الفتح لم تشهد عصرا مزدهرا شبيها بأيام الانباط ، أو حاولت أي حكومة من الحكومات صبغ المنطقة بطابع معين منذ الفتح العربي حتى قبيل العصر الحاضر ·

ومما يدعو للاسف ، بل ومما يدعو الى الحزن ، أنه لم يتم عمل أي مسح لغوي للهجات الدارجة في أي بلد عربي ، ولم يقم أحد في الاردن حسب ما أعلم ، بعمل أي دراسات انثروبولوجية جادة، أو أي دراسات لغوية في منطقة بلاد أدوم ومؤاب حتى يمكننا الاعتماد عليها لاجابة السؤال الذي طرحته ، وفي اعتقادي أن هناك أملا كبيرا في وجود أثر للغة الانباط وعاداتهم بين سكان المنطقة ·

يلاحظ بعض زائري آثار البتراء وجود بعض السكان الذين يعيشون في المقابر المنحوتة في الصخر ، وقلما يأبه الزوار لوجودهم اذ يظنون أنهم من حراس الآثار وعائلاتهم ·

وغالبا ما ينتهي تفكير الزائر عند هذا الحد ، ولكن موظفي دائرة الآثار وسكان وادي موسى والعلماء المهتمين بدراسة حضارة الانباط يعرفون أنه يوجد بعض مئات قليلة من السكان الذين يعيشون في بعض المقابر الصخرية وفي شعاب الوديان ، فاذا سأل سائل عن اسم القبيلة التي ينتمون اليها لا يسمع الا أنهم قوم فقراء اسمهم « البدول » وانهم لا ينتمون لاي قبيلة معروفة وانهم ، هم وأجدادهم من قبلهم ، يسكنون في هذه المنطقة في الكهوف الصخرية فاذا ألح السائل لمعرفة المزيد عنهم لم يسمع الا بعض جمل غير محددة عن مدى أمانتهم أو اتباعهم لشعائر الدين، وغرابة عاداتهم ونفورهم من غيرهم من الناس ·

واعترف أن هذا كان كل ما عرفته عنهم حتى شهر نوفمبر ١٩٦٧ عندما قرأت كتاب اللواء محمد علي العجلوني « ذكرياتي عن الثورة العربية الكبرى » ــ عمان ، ١٩٥٦ فاذا به يذكر « البدول » · كان اللواء العجلوني من أوائل الضباط الذين انضموا الى جيش الملك حسين بن علي ، وخاض المعارك التي دارت بينهم وبين الاتراك ، ويذكر العجلوني في ذكرياته أن بعض رجال الجيش ، وهو منهم قضوا ثمانية وعشرين يوما في البتراء استعدادا لمعركة معان وأنهم كانوا يضعون أمتعتهم في الخزنة · ونقرأ في صفحة (٥٥) ما يأتي ، أنقله كما هو :

« وكهوف بتراء آنئذ مليئة بالمهاجرين الارمن الذين نفاهم الاتراك الى الجنوب فكنا نختلف اليهم ونبتاع منهم البندورة المجففة وهم يغسلون لنا ألبستنا ، وكنا نستمع أحيانا الى الذين يحسنون الموسيقى التركية منهم ونعاملهم بالرفق والانسانية ·

« ومن غريب المصادفات أنهم وهم يجهلون اللغة العربية كانوا جيراننا لجماعة من الناس ما هم الا رواسب جنسيات قديمة مجهولة الاصل

والارومة لا ينتسبون في الحقيقة الى العرب ولا الى الانباط القدماء الذين عمروا البتراء وكانت لهم حضارة مزدهرة فيها ٠

« والذين يتكلمون العربية من هؤلاء الجماعة فكلماتهم لا تزيد عن المايتين لفظة على وجه التقريب ٠ وقد يغلب على الظن بأنهم التقطوا تلك الكلمات القليلة من رعاة الماعز البدو الذين يرتادون تلك الجروف العميقة في فصل الشتاء على ممر السنين ٠

« وهذه الجماعة من الناس منعزلة منذ القدم عن عشائر البدو وعن القرى ، ومساكنها الكهوف والمغاور تلجأ اليها (كالوحوش تقريبا) ولا تعرف عن مدينة العصر الحاضر الا النزر اليسير ٠ ويلبسون أسمالا بالية ، ولا فراش ولا متاع لهم ، ولا يمارسون زراعة أو غيرها ٠ وفي فصلي الربيع والصيف ينام أفراد هذه الجماعة بالعراء ، وفي النهار يستظلون أفياء الشجر في سفوح الجبال التي تشرف على وادي عربة ٠

« ولا يعرفون نظام الأسرة وليس لهم مذهب يدينون به (فيما يظن) ويتفاهمون بتلك الالفاظ العربية القليلة وبالاشارات ٠

وفيهم طبع وحشي فهم ينفرون من الناس واذا رأوا أحدا قادما عليهم ذعروا منه وتفرقوا الى الكهوف وتواروا بين الصخور » ٠

ويضيف العجلوني قائلا :

« وقد فطن (بيك باشا) الى البدول هؤلاء فكان يرسل اليهم الكساء والغذاء وصاروا يطمئنون الى الجنود شيئا فشيئا حتى سكنوا اليهم وألفوا الاختلاط مع الناس والاستئناس بزوار هذا المكان التاريخي الشهير ٠

« وعرف بيك باشا الانكليز والسياح بهم ووظف بضعة أشخاص منهم أدلاء للسياح »

يمثل هذا الوصف حالتهم فيما بين عامي ١٩١٧ و١٩٢٤ ولكن هل تغيرت حالتهم كثيرا منذ ذلك التاريخ ؟ لقد طرأت على حياتهم الاجتماعية تطورات غيرقليلة وخدم الكثيرون منهم في الجيش وسافروا الى مختلف بلاد الاردن والى خارج الاردن ، وزادت صلتهم بدائرة الآثار ، وأصبح الكثيرون منهم يعرفون القراءة والكتابة٠ ولكن ما زال أغلبهم فقراء يعيشون في عزلتهم وان كانت حياتهم الاجتماعية قد تحسنت بعض الشيء نتيجة لانتشار بعد مظاهر المدنية في المنطقة كلها بوجه عام ٠

لقد اتصلت بالبدول في أواخر شهر نوفمبر ١٩٦٧ وعرفت من مشايخهم بعض ما كنت اريد الوقوف عليه ، وهم يتكونون من ست عائلات ، ولكل عائلة (ويسمونها «خمسة» تشبيها بأصابع اليد الواحدة) زعيم من أبنائها ، وزعامة العائلات الستة في الوقت الحاضر في عائلة الفقير وزعيمهم هو الشيخ هويمل الفقير ، وعدد « البدول » كلهم يتراوح بين أربعمائة وخمسمائة شخص ٠

ولست اريد الحديث عن البدول ووصف عاداتهم ، فليس هذا هو غرضي الان وانما اريد فقط أن أقول أن اتصالي بهم زادني ثقة بان فرصة دراستهم كمجموعة ما زالت سانحة ميسورة ،كما زادني هذا الاتصال ثقة بأن هؤلاء البدول ، وهم على وشك الانقراض ليسوا الا بقية من سكان البلاد الاصليين الذين غلبتهم قبائل البدو على أمرهم ففروا بأرواحهم ليعيشوا في أماكن موحشة لا يطمع فيها أحد ٠

تختلف لهجة البدول عن لهجة جيرانهم ، ولهم عادات خاصة بهم ، ويعبرون عما يريدون قوله بكلمات لا يكاد يفهمها جيرانهم ، ويصحبونها بهمهمات واشارات خاصة بهم ، وفي رأيي أنه اذا كان هناك أمل في معرفة ما عساه أن يكون باقيا من لغة الانباط أو عاداتهم ، فان ذلك يمكن تحقيقه بدراسة لهجات البدول وسكان الاغوار ، ودراسة عاداتهم ونظامهم الاجتماعي دراسات علمية صحيحة ، ويا حبذا لو كان من يقوم بها من أبناء الاردن الذي يعرف لهجات البدو ، وبخاصة المنطقة الجنوبية من البلاد ٠

خاتمة

والان ، وقد عرضت بعض ما كنت أريد عرضه

من موضوعات أصل الى نهاية هذا البحث مؤكدا أنه برغم ما تم من تقدم في الدراسات النبطية في السبعين عاما الاخيرة فأنا ما زلنا بعيدين عن اليوم لذي نستطيع أن نقول فيه أننا نعرف كل ما نريد معرفته عن الأنباط ·

لقد أولت دائرة الآثار منطقة البتراء وغيرهامن المناطق كل ما تستطيعه من عناية في حدود ميزانيتها المالية المحدودة ، ولكن ترميم الآثار وصيانتها والحفر عما لم يتم الكشف عنه سواء في البتراء ، أو في غيرها ، يحتاج الى مجهودات أكثر والى ميزانية أضخم فعسى ألا تضن الدولة بذلك ·

ان آثار البتراء فريدة في نوعها ، واذ سألني سائل في أي مكان أضعها بين آثار الحضارات المختلفة لما ترددت في القول بأني أضعها في الصف الاول بين الآثار الفريدة في بلاد الشرق وغير بلاد الشرق ·

ان كل أثر في أي بلد عربي انما هو ملك للامة العربية كلها ، تعتز به كجزء من تاريخها ، والدراسات النبطية وآثار البتراء وغيرها من آثار الاردن ليست ملكا لابناء الاردن وحدهم بل يشاركهم في الاعتزاز بها كل عربي عاش أجداده في هذا الوطن ، وهي جديرة بكل عناية ورعاية، وارجو من كل قلبي أن يكون الوقت قد حان لتقص علينا رمال الصحراء ما احتفظت به من أسرار ، وتكشف لنا عن الكثير مما نجهله حتى الان عن الانباط وغير الانباط ·

الدكتور أحمد فخري

الحفريات حول الحرم

محمود العابدي

موقع القدس

كان موقع القدس مسكونا منذ فترة الاستقرار والتحضر الأولى بدليل ما وجده المنقبون من نماذج الفخار التي وجدت في قبر على منحدر تل اوفيل (عوف ايل) جنوب المدينة الحالية ـ ذلك التل الذي كان نواة للمدينة اليبوسية التي سبقت المدينة الاسرائيلية وقد أرجع العلماء هذا الفخار الى العصر البرونزي القديم (٣٠٠٠ ـ ٢١٠٠ ق٠م) ٠

قامت القدس القديمة على تل الظهور (أوفيل) وهو موقع غير مناسب لمدينة يراد لها الاتساع اذ يلف حولها من الشرق وادي قدرون وينحدر بالتدريج للجنوب الشرقي ، وعرضه أقل من مئتي متر ٠ ويجري فيه خلال الشتاء والربيع جدول ولكنه يجف في الصيف ٠ ويتصل قدرون في الجنوب بوادي هنوم (جهنم) الذي يمتد الى الغرب نحو نصف ميل ثم يدور الى الشمال ٠ وأخيرا يتصل بوادي تريبيون (باعة الجبن) الذي يمتد شمالا وهكذا يكون موقع القدس القديمة محاطا من ثلاث جهات بالوديان ولا يتصل مع مستوى الأرض الا من الشمال ، وهذا هيأ لها درعا واقيا من هجمات الأعداء ٠ وهناك سبب أهم لاختيار هذا الموقع لمدينتنا هذه هو وجود عين العذراء (عين جيحون) على جانب وادي قدرون جنوب شرقي الموقع ٠

يمتد وادي تريبيون من باب العمود شمالي المدينة مسافة نحو كيلو متر ونصف حتى يلتقي بوادي هنوم في الجنوب ٠ وترتفع الآكام في شرقيه وفي غربيه نحو ٥٠ ـ ١٥٠ قدما ومن كثرة هدم المدينة وتراكم الأنقاض امتلأ وادي تريبيون بها ٠

بنى اليبوسيون أول حصن لهم في (تل أوفيل) بمساحة نحو سبعين دونما ، وأخذت المساحة تتسع عند لزوم التوسع بسبب كثرة السكان وذلك ببناء سلاسل يملأ خلفها بالصخور والأتربه لتوفير مساحات جديدة حتى امتدت الأبنية الى ما يقارب عين العذراء ٠

هذه هي المدينة التي فتحها ذاود حوالي سنة ١٠٥٠ ق٠م ٠

ومنذ أيام سليمان وما بعده الى أيام المكابيين ١٦٠ ق٠م أخذت بعض الأبنية تقام على السفح في غربي وادي تريبيون الى ان اتصلت بتلة صهيون حيث تقوم القلعة الحالية ومقام النبي داود ٠ وهو أعلى من أوفيل بنحو ثمانين قدما ٠

في شمالي أوفيل حفر خندق عمقه عشرون قدما ليفصل المدينة عن صخور الشمال ٠ وبني فيه سور ٠ هذا الخندق هو الواقع بين المتحف ومقبرة باب الساهرة الى حي المصرارة ٠ والمرتفع الصخري يسمى تل أكرا ، وفي أسفله مغارة الهدمية حيث بني موقف السيارات الحالي ٠ وفي جنوب الخندق محاجر سليمان والسور الحالي ٠

ولقد وصف المؤرخ يوسيفوس مدينة القدس في أيامه (منتصف القرن الأول بعد المسيح) بقوله المدينة مبنية على تلين الواحد مقابل الاخر ـ بينهما واد يشطرهما ٠ والبيوت متقابلة على طرفي التلين والتل الغربي (صهيون) أعلى من التل الشرقي (المريا)

صخر القدس الأعلى كلسي رملي فيه بعض الصوان ، كما يرى الان في صخور بناية الروضة وفي محاجر سليمان · والأسفل حجر كلسي أبيض سهل النحت صالح للبناء لانه يقسو عندما يتعرض للهواء ، وهذا ما سهل على السكان حفر الآبار والحياض العظيمة والأنفاق الكبيرة · وكان لها شأن عظيم في تاريخ المدينة (١) ·

رواد التنقيب

منذ أن صمم اليهود على التجمع في فلسطين واقامة دولة لهم فيها أخذوا يعملون على البحث عن بقايا الهيكل المهدوم · وقد ساعدهم على البحث عنه ارساليات التبشير ورهبان الأديرة ·

ففي سنة ١٨٠٠ درس الأب فنسنت سلسلة المداخل المؤدية الى الحرم الشريف ، والأنفاق التي كان الماء يجري فيها من النبع في سلوان الى داخل أسوار المدينة القديمة · وكان أهمها نفق سلوان الذي بلغ طوله ٥١٧ مترا وكان المؤرخون يفترضون أن جيش الملك داود دخل منه واحتل ساليم اليبوسية حوالي سنة ألف قبل الميلاد ·

وفي سنة ١٨٢٢ كان يعيش في القدس مبشر سويسري اسمه كونراد شيك وقد اكتسب خبرة ممتازه في التعرف على تاريخ مدينة القدس القديمة · وقد ركز بنوع خاص على دراسة التضاريس الصخرية التي تقوم عليها أبنية القدس الحالية · ولقد تخيل صورة لهيئة الهيكل على جبل مريا حيث شرع ابراهيم يضحي بابنه وحيث يقوم مسجد الصخرة ـ حسب ظنه ·

ولقد أكد أن الأقصى التحتا وما يسمى باصطبلات سليمان والمكان المسمى مهد عيسى تعود الى عصر جوستنيان من القرن السادس بعد الميلاد وقد استدل على ذلك من طراز دقاقة الحجارة وأشكال الأقواس ·

وفي سنة ١٨٣٩ أخذ المبشر الاميركي باركلي يزيل الأنقاض التي تراكمت في باب البراق (الذي يعرف الان بباب المغاربة) ليكشف حدود الهيكل القديم ومداخله · واكتشف في شمالي العتبة الضخمة أربعة مداميك من حجارة ضخمة تدل على أن البناء روماني · وتحت هذا الباب حنية في الواجهة فيها محراب ـ ذكرى لربط براق النبي عليه السلام يوم الاسراء والمعراج · وعلى هذا المحراب بني مسجد البراق الذي هدمه اليهود في حفرياتهم سنة ١٩٦٨ لتوسيع جدار المبكى ·

وكان باركلي يظن أنه اكتشف أحد الأبواب الأربعة التي ذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس بأنها كانت مداخل الهيكل · وتحت الباب درج منحوت في الصخر يصعد من الأرض الواطئة الى ساحة الحرم ·

وفي سنة ١٨٥١ عرض العالم ليارد بعض التماثيل الضخمة للثيران والمسوخ المجلوبة من العراق فأعجب بها الجمهور البريطاني · ولقد رأى البعض أن الأراضي المقدسة لا بد وأنها تخبيء مثل هذه العجائب · وكان ذلك ناشئا عن الرغبة الملحة في البحث عن المواقع الأثرية التاريخية المذكورة في التوراة ·

ولقد أظهرت رحلة العالمين الاميركيين ادورد روبنسون وغالي سمث كثيرا من أسماء القرى العربية لا تزال تلفظ كما وردت في التوراة · ولم يكونا يعرفان انها كنعانية الأصول ·
وزاد في أهمية الموضوع معلومات وثيقة نشرها جورج غروف ·

لهذه الأسباب زادت رغبة كثير من الانكليز في زيارة الأراضي المقدسة ، والعمل على خدمتها ـ

(١) جغرافية الكتاب وتاريخه تأليف موست كنت وترجمة غبريل ـ بيروت سنة ١٩٢٣

من ذلك اندفاع المحسنة انجيلا بوردت كوت لتقديم عون مالي لتحسين موارد الماء في القدس. فقام السير شارل وارن S. Warren بعمل مسح تمهيدي لتحقيق هذا المشروع الخيري ·

وهنا قدم القنصل البريطاني في القدس اقتراحا يدعو الى توحيد جهود الأفراد في شكل من الأشكال المنظمة · واستجابة لهذا الاقتراح تداعت جماعة من العلماء في لندن لدراسة الاقتراح ونتج عن ذلك الاجتماع تأسيس مؤسسة التنقيب الفلسطينية The Palestine Exploration Fund في ٢٢ حزيران سنة ١٨٦٥ فكانت أول جمعية علمية تقوم بالتنقيبات · واحتلت مكانة خاصة كرائدة في دراسة الآثار ·

وفي الوقت ذاته كان شاب موظف في القنصلية الفرنسية بالقدس اسمه كليرمونت غانو Clermont Ganneau يزاول هوايته في اكتشافات أثرية خاصة · وقد وفق لاكتشاف آنية مزدانة برسوم خرافية بديعة النقوش · وجدها في قبر على طريق الآلام داخل القدس القديمة · ورأت المؤسسة أن تضم جهوده الى أعمالها لتستفيد منه·

وفي سنة ١٨٧٤ اكتشف تماثيل جوبيتر وفينوس ملقاة في المجاري تحت المحكمة الشرعية قرب باب السلسلة ، ثم نزع البلاط من ساحة المغاربة حتى زاوية السور الجنوبي فلم يجد أكثر من مخلفات العصر الاسلامي ·

وقد ركزت المؤسسة أعمالها على مدينة القدس ـ لما لها من المكانة الدينية لدى عقلية القرن التاسع عشر التوراتية · ولذلك وضع المهندسان شارل ولسون وشارل وارن الاسس لدراسة طبوغرافية القدس ومعرفة تاريخها ·

حفريات وارن

في سنة ١٨٦٧ قام السير شارل وارن باسم مؤسسة التنقيب الفلسطينية بحفريات خلف أسوار الحرم واهتدى الى سور تحت الأنقاض يبدأ من الزاوية الجنوبية الشرقية · وقد أخذ في الابتعاد جنوبا وغربا حتى التقى بباب المغاربة Dungan Gate أحد أبواب المدينة من الجنوب · واعتقد أنه السور الذي دافع عن يبوس الكنعانية في وجه غزو جيش داود الاسرائيلي في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد ·

وفي سنة ١٨٧١ حفر وارن تحت باب السلسلة في الغرب من الحرم ، فاكتشف أقبية قامت على صفين أو ثلاثة من الأعمدة تعلوها عقود انصاف دائرة · كما كشف عن طريق مرصوف يحاذي السور من الغرب ومن الجنوب · وتعمق الحفر تحت هذا الرصيف الى ٥١ قدما حتى وصل الى الصخر الذي بنيت عليه قواعد الأسوار · ثم دار حول السور الجنوبي وحفر في حاكورة عائلة الامام الى أن وصل الى الباب المنفرد في سور الأقصى ، الذي يعلوه قوس اسلامي أو صليبي لا علاقة له ببناء الهيكل · ثم وصل الى البوابة الثلاثية التي بنيت على الطراز البزنطي · وواصل حفرياته حتى وصل الى الباب المزدوج الذي كان يفتح الى الأقصى التحتا الذي هو من أبنية عصر جوستنيان في القرن السادس بعد الميلاد · وقد عثر على كتابة باللغة اللاتينية على حجرين من حجارة البناء الضخمة وقد وجدت مقلوبة على قاعدة تمثال من عهد الانطونين ـ انطونيوس بيوس وانطونيوس أوريليوس ـ معظم الحروف لا تزال مقروءة وهي تذكر خلفاء الامبراطور هدريان بالتبني ·

يقول المؤرخ بروكبيوس الذي كان أسقفا لمدينة القسطنطينية سنة ٦٥٠م أن الأقصى التحتا وما يسمى اسطبلات سليمان ومهد عيسى كلها من أعمال ـ جوستنيان الذي سبقه بقرن وربع القرن ـ وقد أخذ حجارتها من محاجر القدس المعروفة بمحاجر سليمان ـ بين بابي العمود والساهرة · وقد نقلتها عجلات كان يجر الواحدة منها أربعون ثورا ، لضخامتها ·

ثم دار وارن حول الزاوية الجنوبية الشرقية التي تعد من أضخم أبنية العصر الروماني ومشى مع السور الشرقي وأجرى سبرا في الأنقاض المتراكمة هناك فهبط به الحفر الى عمق ثمانين قدما ، حتى وصل الى الصخر · ثم واصل تحرياته

حتى وصل الى الباب الذهبي الذي سماه العرب باب الدهرية وتسمى فتحته الأولى باب الرحمة وفتحته الثانية باب التوبة (توما توما) ٠

أغرى وارن خدم الحرم فسمحوا له بدخول الغار تحت الصخرة ٠ وادعى أنه أزاح غطاء حجريا فوجد تحته مجرى دماء الضحايا ٠ وقد بنى حكمه على ما جاء في التلمود من أن الصخرة كانت هي المذبح وكان عليها مجرى تسيل منه دماء الضحايا الى الغار ومنه تجري في قناة الى وادي قدرون ٠ ولكنه نسي أن المذبح كان في زمن سليمان وخلفائه مصنوعا من المعدن ٠ ولو فرضنا أنه نصب فوق الصخرة فان آثاره قد أمحت ولم يبق منها حفر أو بناء ، حتى قام الحفار باركر فدحض ادعاء وارن هذا كما سيجيء ٠

قنطرة ولسون

يقوم باب السلسله على قنطرة كبيرة فوق جسر اكتشفه توبلر Tobler وسماها باسم المستر ولسون مدير المساحة في بريطانيا ٠ على هذه القنطرة وغيرها من القناطر أقيم الطريق الذي كان يوصل بين المدينة العليا عند باب الخليل وبين المدينة السفلى على جبل المريا ـ عبر وادي تريبيون الذي كان ينخفض كثيرا عما هو عليه الان (حارة الواد) وقد بنيت الطريق فوق الأنقاض التي ملأت الوادي ، نتيجة للحروب المدمرة ٠ وقد اقيمت أقواس ونصبت قناطر فوق الردم لتقلل الهبوط ٠

ويبلغ ارتفاع قنطرة ولسون ٢١ قدما واتساعها ٢٤ قدما وطراز بنائها بزنطي وحجارتها ليست بضخامة حجارة الأسوار ٠

وفوق قنطرة ولسون كان الأمير تنكز المملوكي قد بنى مدرسته الشهيرة سنة ١٣٢٠م والتي استعملت في تاريخ متأخر محكمة شرعية ٠

قنطرة روبنسون

عندما كان العالم الأثري روبنسون يقوم بمسح أثري حول الحرم عثر في سنة ١٨٦٤ على قوس أو قنطرة في زاوية الحرم الجنوبية الغربية على بعد ١٣ قدما من الزاوية الفخرية ـ زاوية آل أبي السعود ـ وافترض روبنسون انها نهاية الجسر الذي كان يصل المدينة العليا على جبل صهيون في الغرب بالمدينة السفلى على جبل المريا في الشرق وقال انها بنيت في القرن الخامس أو السادس بعد الميلاد ٠ ويبلغ اتساعها ٥٠ قدما وارتفاعها ٢١ قدما وقد بنيت من حجارة ضخمة كحجارة السور ٠ ويرجع غيره هذا القوس الى أيام هردوس ٠ وللجنوب من قنطرة روبنسون طمرت حجارة كبيرة على عمق ٣٥ ـ ٥٥ قدما وقد ظهرت في حفريات اليهود بعد سنة ١٩٦٨ وبعضها منحوت أملس وعليها أشكال حزوز وسهام ٠ وقد تكون من بقايا سور هردوس الذي كان يمتد حتى باب المغاربة ـ باب المدينة الجنوبي ـ الذي لم يبق منه فوق سطح الأرض الا عشرة أقدام بينما لا يزال الباقي تحت الأنقاض ٠ ويمتد سور هرودس الى الشرق حتى يلتقي بالزاوية الجنوبية الشرقية من سور الحرم ٠

حفريات باركر

قام الكابتن باركر سنة ١٩٠٩ ـ ١٩١١ بالبحث عن كنوز سليمان ٠ وقد سمحت له السلطات العثمانية بذلك لشدة حاجتها الى المال ٠ حفر في سلوان شمالي عين أم الدرج وكشف الأسراب اليبوسية التي كان الماء يجري فيها من المنبع في عين جيحون شرقا الى داخل المدينة في عين أم الدرج غربا وكان يعتقد أن يؤاب قائد جيش الملك داود دخلها ومنها فتح المدينة اليبوسية ٠

ثم حول نشاطه الى الجهة الجنوبية وبحث عن مداخل سرية توصله الى الأقصى التحتا ٠ فلم يجد الا الصخر على عمق بضع سنتميترات ووجد قنوات الماء التي يجري فيها ماء المطر الساقط عن أسطحة الأقصى ليتسرب الى الصهاريج القريبة التي كانت تسد شيئا من الحاجة الى المياه في أواخر السنة ٠ وهو ما أدت اليه الحفريات الحالية وخابت الآمال في ايجاد مداخل الى الأقصى ٠

ولما رشا الحرس مكنوه من دخول اسطبلات

سليمان ، فلما لم يجد شيئا زاد في الرشوة حتى مكنوه من دخول الغار تحت قبة الصخرة واقتلع البلاط فوجده راكبا فوق الصخر مباشرة · وليس تحته أي فراغ أو قناة ـ كما زعم سلفه وارن قبل أربعين سنة فليس هناك قناة لجرى دماء الضحايا · كما أنه لم يجد بئر الأرواح الذي كانت تروي الأساطير أنه في الغار عندما تزعم الرواية اليهودية أن كبير الكهنة كان يناجي الأرواح منه بعد موت أصحابها · ولم يجد اثرا لدماء الذبائح فوق الصخر · وأثبت ما جاء عن مذبح هيكل هرودس الذي كان يبعد عن قدس الأقداس في الكهف ٢٢ ذراعا وأنه بني من حجارة غشيمة وكانت مساحته ٣٠ ذراعا مربعا · وكان يرتفع عن الأرض ذراعا واحدا أي أنه كان خارج الهيكل ·

كل هذا حمله على أن يبحث عن مدينة داود وسليمان خارج هذا المكان ـ ربما في حاكورة عائلة الامام في الجنوب من خارج الأقصى ، تصديقا للرواية ، التي تقول أن مدينة داود لم تتعد وادي صادوق الفاصل بين أوفيل والمريا التي تقوم عليها الصخرة ـ واستدل من الفخار الذي جمعه أن مدينة القدس بدأت حياتها المدنية قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة وليس بألف وخمسماية سنة كما كان يظن ·

سرقة الحرم

وقد جاء في مقتطف سبتمبر سنة ١٩١١ : كان جماعة من الانكليز ينقبون في القدس عن الآثار القديمة فسولت لهم نفوسهم أن يحتفروا في الحرم الشريف · فأغروا كبير حراسه بالمال وأتموا عملهم ليلا · فلما نهض الأهلون في الصباح وعرفوا بالحادثة ثارت ثائرتهم ورفعوا الاحتجاجات والشكاوى الى المراجع العليا في الآستانة فاهتمت بهذا النبأ وألفت لجنة للتحقيق في المسألة رئيسها عزمي بك متصرف طرابلس الشام واعضاؤها الفريق هاشم بك ومرعي باشا مدير أوقاف حلب · وشاع أن المحتفرين عثروا على خزائن سليمان وتاجه وصولجانه وتابوت العهد والألواح الحجرية الى غير ذلك مما يظن وجوده في الحرم الشريف · غير أن نتيجة التحقيق لم تظهر بعد ·

واللجنة توالي البحث والتنقيب لتجلو الحقيقة · ويخفر محل اجتماعها نفر من الجند شاكي السلاح وقد دعت الى الاستجواب نحو خمسين شخصا ·

وكادت هذه الحادثة تفضي الى عاقبة سيئة ، فقد هاج الأهلون وحنقوا على المتداخلين في هذه الحادثة حتى ساد الاضطراب وعم الرعب وتوقع الناس حدوث فتنة · واتفق في بعض الأيام أن تخاصم اثنان من القرويين ، فذاع الخبر بحدوث فتنة فأقفلت الأسواق والمخازن وتسارع الناس الى بيوتهم مضطربين جازعين · غير أن الحكومة المحلية سكنت روعهم وخفضت مخاوفهم فعادوا الى أعمالهم في اليوم الثاني

وترى الأهلين هناك متجمهرين متشوقين الى ادراك النتيجة وانجلاء الحقيقة ومعرفة ما عثر عليه الانجليز في تنقيبهم من العاديات الثمينة ·

وفي موسم ١٩٢٣ ١٩٢٤ كشف مكلستر برجا على تل أوفيل خارج الأسوار وظنه كروفوت في حفرياته التي قام بها ٢٦ ـ ١٩٢٨ من عهد داود وسليمان ولكن الدكتورة كنيون أعادته الى عهد اليونان والمكابيين من القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد ·كما اكتشف المذبح العالي لليبوسيين في خندق على جبل أوفيل خلف السور ·

وفي سنة ١٩٢٦ اكتشف كروفوت سورا جنوبي السور الحالي قال انه سور سليمان · ولكن الدكتورة كنيون تقول انه لا يتجاوز القرن الأول قبل الميلاد · وفي سنة ١٩٣٧ أذاع كروفوت أنه اكتشف بوابة أسوار مدينة داود التي كان اتساعها ثلاثة أمتار ونصف وارتفاعها سبعة أمتار · وقد بنيت من حجارة غشيمة ·

حفريات الدكتوره كنيون

لقد وقفت قلعة القدس اليبوسية في وجه الغزو الاسرائيلي فاصلا بين ما اغتصبوه في الشمال والجنوب منها ، وبعد أن أمضى داود تسع سنين في حبرون استطاع أن يفتح القلعة

اليبوسية وأن يجعلها عاصمة له ، كما بنى فيها ابنه سليمان الهيكل المشهور ، هكذا كتب للقدس أن تلعب دورا هاما في تاريخ التوراة · ولكن أين كانت عاصمة داود وأسوارها وذكرياتها ؟ هذه مشاكل بقيت صعبة الحل حتى قام علماء الآثار يحاولون حلها ففي سنة ١٨٦٧ أجرى وارن Warren البروفسور الانكليزي حفريات خارج السور الجنوبي الشرقي من الحرم الشريف · وبعد ثلاثين سنة قام بلس Bliss وديكي Dickey بحملة أخرى في نفس المكان وبعد ثلاثين سنة أخرى قام مكلستر Macalister بتنقيبات ثالثة · وانتهت هذه الحفريات بوضع مخططات ظهرت فيها ما كان يسمى حلا لتلك المشاكل ·

ولكن الآنسة كثلن كينيون Kethleen Kenyon ما كادت تنتهي من حفرياتها في أريحا سنة ١٩٥٨ حتى عزمت على اعادة الحفر في المكان المذكور بوسائل علم الآثار الحديثة لانها كانت تشك في النتائج التي توصلت اليها البعثات السابقة · وما كادت تعلن عن عزمها باسم المدرسة البريطانية لعلوم الآثار في القدس حتى انضمت اليها المدارس الافرنسية والاميركية في القدس· وهكذا بدأت موسمها الأول سنة ١٩٦٠ ·

على هذا السفح الذي ينحدر الى وادي سلوان حتى عين أم الدرج قامت كنيون بحفر عدة خنادق ، اظهر العلوي منها أن ما ظنته الاكتشافات السابقة سور المدينة اليبوسية التي استولى عليها داود حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد ـ ما هو الا السور الروماني الذي قام على أسس هيلانية لا تتجاوز القرن الثالث قبل الميلاد · وهناك عثرت على الآبار والصهاريج التي تعود الى المدينة الرومانية التي بناها هدريان سنة ١٣٥ م باسم ايليا كابيتولينا Alea Capitolina وكلما توسعت في الحفر نحو الشمال كانت تقترب من التحصينات القديمة · حتى وصلت الى سور يمكن ارجاعه الى سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد · وقد جدد ورمم بعد حوادث طرأت عليه حوالي سنة ١٤٠٠ ق·م وهو السور اليبوسي الذي وقف في وجه الغزو الاسرائيلى ثم رمم مرة ثانية واستمر حاميا للمدينة اليبوسية التي احتلها الأشوريون حتى سنة ٧٠٠ ق·م وقد لاحظت الدكتورة كينيون أن اليبوسيين كانوا يبنون جدرانا استنادية يملؤونها بالحجارة والأنقاض حتى يوفروا بسطة Platform واسعة تقام عليها الأبنية فوق هذا السفح ·

وفي الموسم الثاني سنة ١٩٦٢ كشفت أن هذه الأسوار هدمت أربع مرات في التاريخ وأعيد بناؤها أربع مرات كان آخرها سنة ٥٨٧ عندما هدمتها بابل ودمرت القدس واختفت معالم المدينة اليبوسية بعد أن خدمت نحو ٨٠٠ سنة ·

عندما عاد نحميا من السبي البابلي سمح له الفرس باعادة بناء الأسوار ولكن على مقياس أضيق · وهنالك ولا سيما في الشمال ظهر السور الذي بناه هيرودس ومن بعده اغريبا Agrippa ٤٠ ـ ٤٤ م وقد اضطر تيطس لهدمه عند عصيان اليهود ومهاجمة الهيكل سنة ٧٠م وقد أدى الحفر هنا الى اظهار شارع مبلط من القرن الميلادي الأول · وفي الموسم الأخير الذي جرى سنة ١٩٦٤ كادت النتائج تقنع الدكتوره كينيون أن المدينة اليبوسية كانت شرقي أسوار الحرم وعلى هذا السفح المنحدر الى وادي قدرون · ولم تكن المدينة على جبل المريا حيث يقوم الحرم الشريف اليوم · ولهذه النتائج أهمية خطيرة في تاريخ المدينة المقدسة ·

الحفريات الاسرائيلية

قبل حرب حزيران ١٩٦٧ كان اليهود يقرأون تقارير حفريات المدرسة البريطانية فيغتاظون منها ، لانها لم تأت على هواهم عندما كانت تذكر أن الحفريات التي أجرتها على أحدث الأصول العلمية لم تتوصل الى تعيين مكان الهيكل ·

لذلك كان في طليعة ما بادروا للقيام به بعد دخولهم القدس القديمة ١٩٦٧ هو الاسراع في القيام بأعمال الحفر والتنقيب للوصول الى أهداف سياسية بعيدة عن الحق والعلم مهما كانت النتيجة ·· وبعد أن فرغوا من أعمال الجرافة في ازالة الأبنية الاسلامية والأوقاف

الخيرية والزوايا والمدارس التاريخية الواقعة في منطقة المبكى أسرعوا في هدم الأبنية الملاصقة لزيادة امتداد الجدار شمالا وجنوبا ·

قال البروفسور بينامين مازار الاستاذ في الجامعة العبرية هنا أن الحفريات للآثار عند حائط المبكى في القدس القديمة تهدف الى الكشف عن الطبقات الدنيا للهيكل الذي بناه هناك الملك سليمان ·

وقال البروفسور مازار الذي بدأ الحفريات قبل خمسة أسابيع أن العمل في الموقع الذي يجاور المسجد الأقصى سيستغرق ستسنوات · ويبلغ طول منطقة الحفريات ٧٠ مترا وعرضها عشرة أمتار · وقال مازار أن علماء الآثار وصلوا حتى الان الى الطبقة الرابعة عشرة من الحجارة من أعلى الحائط ، وان قطع فخار ونقودا ذهبية تعود للعصر الفارسي وجدت في الحفريات ·

في ٣ آذار سنة ١٩٦٨ أعلن البروفسور بنيامين مازار الذي تولى الاشراف على الحفر باسم الجامعة العبرية أنهم وجدوا في الجدار الجنوبي قطعة من وعاء حجري كتب عليه كلمة قربان باللغة العبرية كما زعموا أنهم عثروا على ٥ درجات كانت تصعد الى الهيكل ·

وقال مازار أن الحفريات الجارية في المنطقة الجنوبية من سور الحرم تبلغ مساحتها ١٥ × ٧٠ مترا والمقرر أن تجري الحفريات على طول السور الجنوبي ·

وحتى ١٤ تموز ١٩٦٨ كانت أعمال الحفر مستمرة بجوار الحائط الجنوبي ·

احتجاج الهيئة الاسلامية بالقدس

في ١٩٦٩/٧/١١ رفع الشيخ حلمي المحتسب رئيس الهيئة الاسلامية بالقدس مذكرة احتجاج الى ليفي أشكول رئيس حكومة اسرائيل هذا نصها : ـ

ان هذه الحفريات تجري على مشهد من المسلمين وبشكل استفزازي مؤلم · وفي كل ذلك اعتداء صارخ على حقوق المسلمين وقدسية أماكنهم الدينية ·

ولقد سبق أن أعلن المسلمون رأيهم بهذا الأمر · وهو لا يتعدى ما قررته اللجنة الدولية ، وأشير اليه في عدة كتابات وتصريحات بأن ملكية الجدار الغربي وما يحيط به من أبنية هي وقف اسلامي تعود للمسلمين وحدهم ، وليس لليهود أي حق فيها الا الزيارة فقط ·

ان استمرار هذه الحفريات في أرض تملكها الأوقاف الاسلامية واستمرار هذا الهدم للاملاك الاسلامية ومواصلة العمل تحت سور الحرم الشريف بالاسنتاد الى القوة وسلطة الحكم ، يعتبر استمرار للاعتداء على قدسية هذا المكان وتحديا مثيرا لشعور المسلمين وعدم المبالاة بحقوقهم منذ أقدم العصور ·

لهذا فأني أعود وأقدم هذا الاحتجاج بكل شدة معلنا أن المسلمين يحتجون على هذه التصرفات ولا يقبلون بها · آملا أن يوضع حد لها وأن تكونوا عند تصريحاتكم بالمحافظة على الأماكن المقدسة وعدم المساس بها ·

قيم دولي على الآثار في البلاد العربية

عينت منظمة اليونسكو الدكتور كارل برونر قيما على الآثار والمخلفات الثقافية في البلاد العربية ليضع حدا لتعديات اسرائيل على الآثار في الأجزاء التي احتلتها في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ وفي ١٩٦٧/١٢/١٢ ـ حضر برنر الى عمان وأخذ يسمع الى الشكايات التي قدمتها دائرة الآثار الاردنية ودائرة الأوقاف وأمانة القدس الربية · وبعد أن أمضى أربعة ايام في عمان يدرس الاعتداءات الاسرائيلية غادرها بعد تقريره بهذا الشأن ·

وقد عقدت منظمة اليونسكو اجتماعا في باريس ناقشت فيه تقرير القيمين خلال شهر حزيران سنة ١٩٦٨ ·

مذكرة الدكتور بول لاب

قدم الدكتور بول لاب مدير مدرسة الآثار الامريكية في القدس مذكرة احتجاج على قيام سلطات اسرائيل بسرقة المخطوطات الأثرية في المناطق العربية المحتلة · وكذلك مواصلة هذه السلطات العبث بالمناطق الاثرية ، هذا نصها :

مقدمة :

من المواثيق والأنظمة التي تتعلق بالمحافظة على الآثار في المناطق التي تقع تحت الاحتلال تلك التوصيات التي أقرها المؤتمر العام لعلماء الآثار في دورته التاسعة التي انعقدت في نيودلهي في ٥ كانون الأول ١٩٥٦ والميثاق الدولي الذي أقرته في المؤتمر الدولي المنعقد في لاهاي سنة ١٩٥٤ لحماية الممتلكات الثقافية في النزاعات المسلحة ·

وتنص المادة (٣٢) من الميثاق الأول على أنه : (في حالة أي نزاع مسلح يقتضي على الدولة التي تحتل أراضي دولة أخرى الامتناع عن القيام بأية حفريات أثرية في المنطقة المحتلة · وفي حالة العثور على أية آثار بمحض الصدفة، خاصة خلال الانشاءات العسكرية ، فأنه يتحتم على الدولة المحتلة اتخاذ جميع الاجراءات الممكنة لحماية الآثار التي يتم اكتشافها والتي ينبغي تسليمها عند انتهاء الاحتلال الى السلطة المختصة في المنطقة التي كانت واقعة تحت الاحتلال مع جميع الوثائق المتعلقة بذلك) ·

ويتضمن الميثاق الثاني عددا من الشروط الاخرى التي لا يتسع هذا المجال لسردها ·وكلها تنطبق على الأوضاع التي سيرد ذكرها ، وستتم الاشارة الى أي شرط من هذه الشروط في سياق البحث · وعلى العموم فان الميثاق يمنع ازالة الممتلكات الأثرية بدون اشراف مندوب معتمد من منظمة اليونسكو · ويشترط مساعدة أولئك الموظفين الذين كانوا مسؤولين عن الممتلكات لمواصلة المحافظة عليها أثناء الاحتلال ·

وفيما تعتبر الوثيقة الأولى بمثابة مجموعة من التوصيات فان الوثيقة الثانية تعتبر نظاما وميثاقا ملزما لجميع الدول الموقعة عليه (٢) ·

حفريات الحرم القدسي

ان الحفريات التي جرت في القسمين الجنوبي والغربي لحائط الحرم الشريف تستدعي اهتماما خاصا ، ذلك لأن تاريخ المنطقة التي شملتها الحفريات يعتبر ذروة في تاريخ التقاليد الاسلامية والمسيحية واليهودية بالنسبة لاي موقع آخر في العالم · والحفريات البريطانية ـ الافرنسية التي جرت بجوار هذه المنطقة بين سنتي ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ لم تسمح لها دائرة الأوقاف الاسلامية بالاقتراب من جدار الحرم · وقد علمت من المفوض العام لمنظمة اليونسكو أن اعتراض دائرة الأوقاف الاسلامية على الحفريات التي أجراها الدكتور مازر تحت رعاية الجامعة العبرية كانت أشد كثيرا من الاعتراضات على الاقتراحات البريطانية ـ الافرنسية · لكن هذه الاعتراضات لم تصل الى حد المجابهة المفتوحة تجنبا للانتقام من قبل السلطات الاسرائيلية ·

وقد ألمحت جريدة (البوست) الاسرائيلية الى اعتراضات العرب ضد الحفريات ، لكن مدير الآثار الاسرائيلي اعتبر القسم العربي من القدس مندمجا بالقسم الغربي وأنه يشكل وحدة أثرية تخضع لقانون الآثار الاسرائيلي · وقد استعمل صلاحيته بموجب هذا القانون لمنع بعض اليهود المتدينين من اجراء أية حفريات بدون تصريح وبأساليب غير علمية ·

ومما ينبغي تأكيده وجود اعتراضات شديدة من قبل الهيئات الأثرية ضد هذه الحفريات · وقد اعترف مدير الآثار في الجامعة العبرية بأن المسؤول عن الحفريات لا يملك الخبرة للحفر تحت الجدار وأنه قد يسفر عن تدمير موجودات أثرية عظيمة القيمة لاصحاب الأديان الثلاثة ·

(٢) لقد اثبت النص الكامل لهذه المذكرة في كتابي (مأساة بيت المقدس) ص ١٧٧ ـ ١٩٤ ·

وتستشعر الهيئات العلمية الأثرية غضبا شديدا لاجراء هذه الحفريات دون تشاور مسبق مع البعثة التي قامت بالحفريات السابقة · مع العلم بأن بعض الحفريات الجارية قد شملت الخنادق التي فتحتها البعثة البريطانية ـ الافرنسية ـ وقد بلغ بهؤلاء الاسرائيليين الحد حتى أنهم دعوا الأب رولان ديفو لمشاهدة حفرياتهم ، رغم أنه لم يسمع بتاتا في تاريخ الحفريات الأثرية العلمية وأوساطها ان قام منقب بحفر مكان سبق لمنقب آخر الحفر فيه دون اذن صريح ـ ويمكن التأكيد بأن الأشخاص الذين قاموا بأعمال الحفر كانوا ما بين ٢٠ ـ ٢٥ عاملا مأجورا وعددا من المتطوعين والطلاب من الجامعة العبرية وأنهم مارسوا العمل تحت اشراف موظفين غير مؤهلين بتاتا ·

وبناء على كل ذلك يتضح أن الحفريات قد جرت في أرض وقفية ضد توصيات المؤتمر السابق الذكر وضد مصالح المسلمين والمسيحيين ، وحتى ضد مصلحة قسم من الطائفة اليهودية ، وأيضا ضد القواعد العلمية والأصول الأثرية المعتمدة من قبل الهيئات العلمية ·

١٩٦٨/٧/١٥

وفي الاسبوع الماضي أعلن البروفسور بنيامين مازار ـ من الجامعة العبرية عن العثور على قطع صغيرة يعتقد أنها من آثار الهيكل الثاني ·

١٩٦٨/٧/٢١

وجد مازار أسرجة من الفخار في طبقة العصر البزنطي من القرن الرابع الميلادي وعلى أحدها رسمت المنارة السباعية التي أصبحت خاصة بالتقاليد اليهودية · وظهرت على الغنائم التي حملها جنود تيطس الى روما بعد تخريب الهيكل سنة ٧٠م لتعرض في يوم الاحتفال بهذا النصر المؤزر · ولكن وجد مع هذا السراج أسرجة أخرى زينت برسوم تشبه سنابل القمح من النوع الذي ورثه المسلمون عن صناع الروم قبلهم في هذه البلاد ·

تدخل ايبان في الحائط تحت الاستجواب ـ ١٩٦٨/٧/٢٦

طلبت حركة المركز الحر الأذن لتسجل استجوابا على قائمة أعمال الكنيست بشأن توقيف الهدم الجاري على الأبنية المحيطة بالحائط الغربي ، بناء على طلب وزير الخارجية وقد أوضح المستر اليعازر شوستاك استجوابه بتضمينه تقريرا اخباريا يفيد أنه بعد أن أخليت الأبنية موضوع البحث وهي المجاورة لباب المغاربة وبعد أن تم تعويض أصحابها ابتدأ الهدم وفي الاسبوع الماضي وبعد أن كتب وزير الخارجية الى وزير الأديان يطلب اليه توقيف الأعمال خشية أن يكون بينها بعض الأبنية ذات القيمة الأثرية طلب وزير الاديان من العمال أن يستبعدوا الآلات · وقد أوضحت مصادر وزارة الخارجية في الليلة الماضية ٧/٢٥ أن المستر ايبان طلب أن يتوقف العمل لمدة محدودة للبحث عما اذا كانت المنطقة التي يجري فيها العمل تقع ضمن المناطق المشمولة بالاتفاقيات الدولية المتعلقة بحفظ المواقع التاريخية والذي يبدو أن المسألة ستكون موضع اهتمام اللجنة الوزارية المختصة · ويعاد الى الأذهان أن ممثلي اليونسكو في اسرائيل والاردن موجودون للمحافظة على المواقع التاريخية منذ حرب حزيران ·

نشرت جريدة معاريف الاسرائيلية بتاريخ ١٩٦٩/٩/١٧ أنهم اكتشفوا عشية رأس السنة العبرية الجديدة تحت التلة الرملية المؤدية الى باب المغاربة ـ البوابة الغربية التي كانت المدخل الرئيسي للهيكل للقادمين من المدينة العليا · وعند ازالة هذه التلة سيعودون لاستخدام البوابة الكبيرة كباب للدخول الى هيكل سليمان ·

أذاعوا أنهم كشفوا شارعا مبلطا يسير بمحاذاة السور الجنوبي للمسجد الأقصى وأن الباب المنفرد في هذا السور هو باب خلده الذي كان يؤدي الى الهيكل مع أن باب خلده مذكور بأنه الباب الجنوبي لهيكل هرودس ·

نقلت جريدة يديعوت في عددها الصادر في ١٩٧٠/١٠/٢٨ تصريحا لوزير الأديان قال فيه : ان وزارة الأديان الاسرائيلية تسعى بواسطة

عمليات الحفر التي تجريها للكشف الكامل عن حائط المبكى الذي يهدف الى اعادة هذه الدرة الثمينة الى سابق عهدها · وما اجراءات الحفر التي تلجأ اليها الا عمليات مقدسة تهدف الكشف عن الحائط وازالة المباني الملاصقة له رغم كل العراقيل التي تقف في الطريق ·

نشرت جريدة معاريف الاسرائيلية بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٧ خبرا خطيرا جاء فيه ما يلي :

ألصقت يوم أمس في شوارع القدس منشورات تحذر من انهيار حائط المبكى اذا ما استمرت الحفريات الأثرية بالقرب منه · ودعا الموقعون على تلك المنشورات اليهود المخلصين لمعارضة مبادرة الحفريات واحباطها وأكدوا أن برنامج وضع الحائط الجنوبي وقسم من الحائط الغربي حتى باب المغاربة تحت تصرف وسلطة المنقبين عن الآثار ، يمس بقدسية المكان ويمنع ويحول دون وصول المصلين · ويعرض حائط المبكى الى المخاطر (انتهى الخبر) ·

والحائط الجنوبي المشار اليه آنفا ، يشكل جزءا من الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى المبارك ، كما يشكل الحائط الغربي ، قسما من حائط الحرم الشريف والذي يضم المتحف الاسلامي والمأذنة الفخرية وعمارة المتحف الاسلامي كلها للانهيار ، وسيؤدي انهيارها لتنفيذ مرحلة جديدة من التوسع اليهودي في سبيل انشاء هيكلهم الذي يحلمون به ·

وبتاريخ ١٩٧١/١/٥ نشرت جريدة (يديعوت) الاسرائيلية خبرا أكثر خطورة مما سبق ، أوردت فيه أن الحفريات عند الزاوية الغربية الجنوبية للحرم (جبل البيت كما يسمونه) قد وصلت الى عمق (٣٥) مترا عن سطح الأرض ·

هآرتس ١٩٧١/٢/٢٢ :

علم أن واجهة حائط المبكى الممتدة اليوم على طول (٦٠) مترا ستوسع قريبا بضم عشرة أمتار اليها بعد تنفيذ مشروع ازالة خرائب المباني الواقعة تحت باب المغاربة المؤدي الى الحرم القدسي · وأشار الناطق بلسان وزارة الأديان الذي أفضى بهذا النبأ بأنه يوجد قرار مبدئي بهذا الشأن · وقد طلب الى دائرة الأشغال العامة تقديم اقتراحاتها لازالة أنقاض مباني دار أبو السعود وبناء جسر يؤدي من ساحة حائط المبكى الى الحرم القدسي عبر باب المغاربة · وستظهر مساحة واسعة عند ازالة الأنقاض التي تشكل الان ستارا يحجز الوصول الى حائط المبكى · وفهم أن كافة العمليات من ازالة أنقاض وانشاء مباني جديدة سنيجري تنفيذها باشراف خبراء بعثة الآثار التي تقوم بحفرياتها في الجزء الجنوبي لأسوار الحرم القدسي بادارة البروفسور مازار ·

معاريف ١٩٧١/٢/٢٢ :

قررت لجنة اعداد وتنسيق الحفريات داخل القدس القديمة الطلب بعدم اقامة مباني فوق بقايا السور الذي تم اكتشافه في الحي اليهودي ويرجع تاريخه الى عهد الهيكل الأول · وقد أرسلت اللجنة المذكورة كتبا الى المؤسسات المسئولة طالبا تأمين المحافظة على هذا السور ·

استمرار الحفريات حول الحرم القدسي الشريف

رغم قرار منظمة اليونسكو في ١٩٦٩/١٠/١٠ الذي ندد بأعمال الحفريات في المناطق المحتلة ، وخاصة القدس والذي يدعو سلطات الاحتلال الاسرائيلي الامتناع كليا عن الحفريات وخاصة حول الحرم القدسي · رغم ذلك فسلطات الاحتلال الاسرائيلي ما زالت تواصل حفرياتها ، فقد ذكرت جريدة (يديعوت) في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/١/٥ أن هذه الحفريات وصلت قرب الزاوية الجنوبية الغربية للحرم الى عمق (٣٥) مترا ، وكتبت نفس الجريدة في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/٣/١٥ أن هذه الحفريات توسعت وامتدت الى بقعة تقرب من (٨) أمتار من مدرسة بنات الأقصى العربية ، وربما يكون هذا الامتداد ، توطئة لالحاق تشعيت في المدرسة تمهيدا لهدمها ، وقد اتخذ قرار بهدمها فعلا ·

نشرت جريدة (عل همشمار) الصادرة في

١٩٧١/٧/٧ كلاما صريحا لدافيد شانيري أزاح الستار عن أهداف الصهاينة من الحفريات الان وبعد مضي أكثر من أربع سنين على تحرير القدس نود أن نوجه نداء الى الدوائر والهيئات ذات الصلاحيات بأن الوقت قد حان كي تجري عمليات الكشف عن حائط المبكى على المكشوف وفي وضح النهار ـ وليس فقط في أعماق الأرض ويجب مصادرة جميع البيوت الملاصقة لحائط المبكى وعلى امتداده وعلى بعد عشرين مترا على الاقل ويجب تنفيذ الخطة كما تم في حي المغاربة المقابل للمبكى في حزيران ١٩٦٧ · ويجب أن نقوم بحفريات مماثلة في الحائطين الشرقي والشمالي حتى نتمكن من رؤية جميع الأبواب المؤدية الى جبل البيت تماما كما حصل لساحة المبكى عند ازالة المباني العربية الملاصقة لسور الحرم في الحي المغربي رغم الصعوبات والضجة التي قامت في حينه بعنف ·

وفي جريدة معاريف الصادرة في ١٩٧١/١٢/١٤ أنذرت السلطات سكان خمسة منازل عربية بسرعة اخلائها فورا بسبب تصدعها من جراء الحفريات التي تجريها وزارة الأديان تحت هذه المنازل وعلى امتداد ٢٠٠ متر من الحائط الغربي للحرم ·

ومن أبرز المنشئات التاريخية المهددة بالخراب حي باب السلسله وحي باب الحديد وحي باب الحبس (حي المجلس الاسلامي) ضريح الملك حسين وضريح الزعيم الاسلامي مولاي محمد علي ومسجد الأميرة خاتون وجامع المدرسة العثمانية فوق باب المطهرة وجامع الخليلي وزاوية ومئذنة قايتباي وسوق القطانين ·

نشرت جريدة دافار في ١٩٧١/١٢/١٦ أنه لا يمكن أن نقرر وقف عمليات الحفر الى الأبد · ويجب كشف طول حائط المبكى كاملا · وطول هذا الحائط ، كما تحدده وزارة الأديان هو ٤٨٥ مترا ـ تم حتى الان كشف ما يقارب ثلاثمائة منها ·

تقول جريدة معاريف في ١٩٧١/١٢/١٤ ان هذه الحفريات تقوم بها وزارة الأديان على طول الحائط الشمالي من المبكى ويجري تنفيذها دون رقابة هندسية الأمر الذي تسبب في تصدعها وهدد بانهيارها وان عائلتين عربيتين من العائلات الخمس قد تم اجلاؤهما في اليومين الماضيين ·

زار هذه الحفريات المستشار الخاص والخبير الدولي بالحفريات والآثار الأستاذ ريموند لومير الاستاذ في جامعة لوفان (بلجيكا) وأمين عام المجلس الدولي للمنشئات التاريخية الذي انتدبه المدير العام لمنظمة اليونسكو لزيارة القدس وتقديم تقرير عن الاتهامات التي تضمنتها الشكوى الاردنية ضد سلطات الاحتلال الاسرائيلي بما تقوم به من مخالفات عن طريق الحفريات والهدم والتغيير لمعالم الأماكن الحضارية والتاريخية في مدينة القدس وقد جاء في تقرير هذا المستشار بالنسبة للحفريات في المنطقة التي تصدعت الأبنية فوقها : (وقد قمت من ناحيتي بفحص الأبنية فوق المنطقة التي جرت فيها عملية الحفريات ولم أشاهد هناك أي أثر لهبوط أو تشقق حديث لتلك المباني) ·

(وهذه الممرات الأرضية التي يبلغ طولها عشرين مترا أسندت على أنابيب معدنية ومع ذلك فأنه من المؤكد أن هذا الاجراء هو حل مؤقت· ولا بد من اهتمام بالغ لتثبيت ذلك بشكل نهائي اذا ما أريد تلافي الازعاجات التي تؤثر على استقرار واستتباب الابنية المقامة عليها) ·

(ان وجود القلق لدى الملاكين لهذه الأبنيه حول هذا الموضوع هو أمر مفهوم ومبرر · ويستحسن أن يطمأنوا حول هذه النقطة · ولا يشكل تنفيذ هذه الأعمال الضرورية لتدعيم الأبنية مشاكل كبيرة من ناحية فنية ولكن يعتمد كل ذلك العناية والحرص الذي يجب أن يرافقا تحقيق ذلك) ·

(وفيما يتعلق بالممرات (سراديب) التي تجري فيها الحفريات والتي يقوم فوق بعضها عدد من أشهر الأبنية الاسلامية في القدس منها سوق القطانين وبعض المساجد والأضرحة الشهيرة والمدارس والمحاكم وغيرها ، فهي من

الأبنية القوية البنيان ـ وباستثناء الشقوق الناتجة عن الهزات الأرضية فانها كلها بحالة سليمة · ولقد حفرت في أمكنة غير ملاصقة لجدار الحرم أي أن الحفريات في خنادق ترابية وكانت الأقواس غير مرتكزة ولا متصلة بجدار الحرم · وهذه المسافة التي لا تزيد على عشرين مترا دعمت بأنابيب معدنية خشية انهيارها ويمكن مشاهدة جزء منها من باب الحديد) ·

هذا ما سجله الخبير الأجنبي ولكنه ما كاد يغادر البلاد حتى استؤنف الحفر لا سيما في ١٩٧١/١٢/٢١ فحصلت التصدعات والشقوق التي دعت الى انذار خمس عائلات باخلاء منازلها· وبالفعل فقد تم اخلاء عائلتين · ولما كانت هذه الحفريات غير قانونية زيادة عما تلحقه من الضرر بالمنتفعين من العرب فأن الحق والواجب يدعوان لايقافها حالا ·

وأذاعوا أنهم وجدا قطعا مكتوبة من سفر أشعيا وقطعا من الكاروبيهم الملائكة المجنحة التي كانت توضع في الهيكل والطشت الذي كان يتوضأ فيه الكاهن ولكن هل وجود هذه القطع من الانتيكات يبرر عزمهم على هدم صروح الحضارة القائمة في الحرم الشريف لانها ليست يهودية ـ أي يهدمون حضارة أعطاها الزمن والفن قيمتها ـ ليقيموا حضارة جديدة طارئة · على العالم الراقي أن يحول دون حدوث هذه الكارثة ·

ولقد فرح البروفسور بنيامين مازار مدير الحفرية باسم الجامة العبرية عندما عثر على درجات تؤدي من الشارع الى الباب المزدوج Double Gate الذي يحلو له أن يظنه باب خلدة الذي كان يتألف ممشيين ـ يمشي في أحدهما الحاخام ويمشي في الاخر جمهور المصلين حتى يصلوا الى الهيكل · وهو يزعم أن هذا المدخل هو الأقصى التحتاني وزاد فرحه عندما وجد كسرة حجر كتب عليها بالعبرية كلمة قربان ·

وفي تقريره عن حفرياته (٣) أن الجدار الجنوبي للاقصى فوق الصخر الطبيعي شرقا وغربا هو بناء اسلامي ،ولكنما تحت هذا المستوى في منطقة الحفر العميق ـ يسبق الفتح العربي ، وقال ان تحت الأنقاض ـ أي تحت البناء الاسلامي ٣٤ مدماكا ـ منها ١٢ من عصر هرودس ثم تأتي ١٩ مدماكا من عصر الرومان ، أسوار مدينة ايليا كابتولينا وهنالك بضعة مداميك من العصر البزنطي وهي التي عاصرت الفتح الفارسي سنة ٦١٤ م ·

ودار الحفر حول الزاوية الجنوبية الغربية حيث كان يقوم ما يعرف بقوس روبنسون الذي سمي باسم مكتشفه Robenson وكان هذا المكتشف يظن أنه نهاية لعدة أقواس كانت تبدأ في المدينة العليا في تل صهيون ـ حيث يقوم مقام النبي داود والقلعة وتقطع الوادي حتى تصل الى جبل الموريا في الشرق حيث كان الهيكل قائما ·

وعلى هذه الجسور والقناطر كانت الطريق التي يسلكها هرودس فتوفر الهبوط الى الوادي والصعود الى جبل الهيكل ·

ولكن أعظم فرح غمر قلبه عندما وصل الحفر الى المدماك الخامس عشر تحت قوس روبنسون حيث عثر على كتابة عبرية من أيام الامبراطور جوليان ـ الذي يسميه تاريخ الكنيسة المسيحية بالجاحد ـ بسبب اضطهاده للمسيحيين من سكان الامبراطورية وقد أحرقت في زمانه عدة كنائس مسيحية ولا سيما في عسقلان ودمشق · وقد مات سنة ٣٦٣ م · والكتابة مأخوذة من سفر أشعيا ٦٦ : ١٤ « كانسان تعزيه أمه · هكذا أعزيكم أنا في أورشليم تعزون · فترون وتفرح قلوبكم وتزدهر عظامكم كالعشب وتعرف يد الرب عند عبيده ويحنق على أعدائه » ·

(٣) B. Mazar : The Excavation in the old city of Jerusalem Near the Temple Mount 1969 — 1970.
وقد اصدرته سنة ١٩٧١ الجمعية الاثرية الاسرائيلية .

وهي عبارات تعبر عما يخالج نفوس العائدين الى القدس ليبدأوا تعمير الهيكل ·

القصور العربية

ولكن فرحه أخذ يتلاشى عندما اكتشف ثلاثة قصور أموية استمرت مسكونة من قبل أمراء القدس من العهد الأموي والعباسي والفاطمي حتى نشبت الحربين بين الفاطميين والسلاجقة امتدت خمس سنوات وأضعفت البلاد بحيث أصبحت لقمة سائغة للصليبيين فلم يجدوا صعوبة في اجتياح هذه الديار · وزاد الطين بلة عندما اجتاح البلاد زلزال سنة ١٠٣٣م· في أيام الخليفة الفاطمي الظاهر ـ ذلك الزلزال الذي صدع أبنية الحرم الشريف وقضت على القصور الأموية الثلاثة · لقد حمل الوازع الديني الفاطميين والسلاجقة على اصلاح المساجد ولكن القصور بقيت خرابا · ومما تبقى بعد هذا الزلزال غرفة صغيرة كانت مصلى ضمن مقبرة واسعة · ولقد ضاعت قبور هذه المقبرة عندما هدمها الصليبيون وبنوا بحجارتها سورهم · ولقد اكتشفت ناصية قبر كتب عليها اسم مسلم من سنة ١٠٠٢م · وقد يكون المصلى والقبور حوله من عصر السلاجقة الذين فتحوا القدس سنة ١٠٧١م ولقد وجدت كتابات كوفية من النوع الذي يكتب عادة على نواصي القبور · منها بسم الله الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ··· باقي آية الكرسي (٤) ·

وكان قد أعيد بناء السور الصليبي سنة ١١٨٢ أي قبل استرجاع القدس من قبل صلاح الدين بخمس سنين سنة ١١٨٧· وبقي السور قائما حتى أمر المعظم الأيوبي سنة ١٢١٩ م · بهدمه خوفا من رجوع الصليبيين · واستمر الخراب في سور القدس حتى أمر ببناء الأسوار السلطان سليمان القانوني وامتدت يد الاصلاح العثمانية حتى شملت جميع أبنية الحرم الشريف ·

وتوسعت حفريات اليهود في سنة ١٩٧٠ حتى اكتشفت ثلاثة قصور أموية وتولى الحفر فيها الاستاذ ميير بن دوف المساعد للبروفسور مازار· وقد جاء في تقريره (٥) :

اتضح منذ ابتداء الحفر بجوار الزاويةالجنوبية الغربية لسور الحرم الشريف (٦) ان الحاكورة التي يقع فيها الحفر بين جدار الأقصى والسور العثماني كانت تضم بناية واسعة مساحتها نحو سبعة دونمات ونصف الدونم · وباتساع رقعة الحفر كشفت بنايات أخرى لا تقل في اتساعها عن هذه البناية · وظهر فيما بعد أنهما تكونان مبنى واحدا ويمتد حتى أسفل مدرسة البنات التي بنيت في العهد الاردني في حي المغاربة (٧) ·

المبنيان الثاني والثالث بنيا على طراز أموي واحد بحيث كان لكل منهما ساحة مكشوفة في الوسط تحيط بها أروقة مسقوفة مع سلسلة من القاعات تمتد على طول الجداران من الجهات الاربع ·

هذه الأبنية في شكلها طبق الأصل لما وجد في قصور الاردن (الحرانة) وفلسطين (خربة المفجر وخربة المنية) وسوريا والعراق (قصر الحير) كما وصفها كرزويل في كتابه « العمارة الاسلامية الاولى » وكان لكل قصر منها أبراج في الزوايا معظمها مستدير · وفي أكثرها أضيفت أبراج في منتصف الأسوار الخارجية وغالبا ما تكون أنصاف دائرية · ولم يسبق ان اكتشفت مثل هذه الأبراج في القدس قبل هذا الاكتشاف، وتفسير ذلك أن أسوار القصور القدسية كانت

(٤) ولقد ورد في تاريخ الاخشيديين ان ملوكهم الاربعة أوصوا ان يدفنوا في تربة بيت المقدس وقد نفذت وصاياهم . وعبثا حاول الباحثون العثور على قبور هؤلاء الملوك بعد ان طمس الصليبيون ما تبقى من الابنية الاسلامية في جنوب الاقصى . لعل هذا الاكتشاف يزيل شيئا من هذا الغموض ... انني لا استبعد ان تكون هذه المقبرة هي مقبرة عظماء المسلمين لم تسلم كما سلمت المقبرة اليوسفية خلف السور الشرقي ـ خلف باب الرحمة .

(٥) Meir Ben - Dove : The Omayyad Structures Near the Temple Mount 1969 — 1970.

(٦) هم يسمونه جبل البيت .

(٧) هدمها اليهود فيما بعد .

ملاصقة لأسوار المدينة فلم تكن هناك فائدة من وجود أبراج خاصة فيها ٠

وقد تهدمت أسوار هذه القصور ولم يبق منها فوق سطح الأرض سوى أجزاء قليلة الارتفاع ٠ أما تحت الأنقاض فقد بقي منها ما يصل الى أربعة أمتار ، ويظهر أن هذه البنايات جزئت ببناء فواصل لتحول الى مساكن شخصية فيما بعد ولا سيما في العهد العباسي (القرن التاسع) وقد تراكمت الأنقاض فوق المستوى الأموي نحو المتر حتى قامت فوقها المصطبة العباسية ولم يقم سكان البيوت الجديدة باصلاح قنوات الماء التي تصب في الآبار ولا مجاري المياه القذرة ٠

كانت القدس قد تعرضت لخراب واسع أثناء الفتح الفارسي سنة ٦١٤م ٠ واستمر حتى الفتح العربي سنة ٦٣٨م ٠ وبدوافع مختلفة قام عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الخامس (٦٨٥ ـ ٧٠٥ م) باعادة بناء القدس وتجميلها بالمساجد والقصور ٠ واستمر ابنه الوليد (٧٠٥ ـ ٧١٥م) ينفذ مخططات أبيه وانجاز مشروعاته حتى تجاوزها في الاتساع فعاد الى القدس المجد الذي كانت عليه أيام هرودس الكبير ٠ وقد دخلت حجارة هرودس في الأبنية الأموية بعد أن نحتت على الطراز العربي كما نشاهد في أبنية الاقصى وقبة الصخرة ـ وكثيرا ما كان البناء الأموي يبني حسب مخططات عصر هرودس دون أن يعرف ذلك البناء الاسلامي ٠

ومن أهم ما تركه البناء العربي في هذه المنطقة الشارع الفاصل بين الحرم وبين القصور وكان مبلطا ببلاط ناعم ابعاد البلاط الواحدة ٢٥ × ٣٥ سم و٦٠ × ٧٠ سم وكان معدل عرض الشارع ٤٣٠ سم ٠

المبنى الثاني :

انه أوسع بناء وجد في هذه الحفريات وكانت أبعاده ٤٨ × ٩٦ مترا أي يكاد يكون باتساع المسجد الأقصى الحالي وكان سمك جداره الخارجي نحو ثلاثة أمتار وكانت ساحته قد بلطت ببلاط أبعاده ٣٠ × ٤٠ سم و٦٠ × ٧٠ سم ٠

وكانت المياه تنصرف في مصارف الى آبار يتسع الواحد منها لثمان مئة متر مكعب من الماء ٠ وكان يحيط بالساحة من الجهات الأربع أروقة مسقوفة حسب المخطط الأموي المألوف في جميع أبنيتهم ٠ وعلى الأعمدة كانت السقوف التي تسقف الأروقة ومن خلفها القاعات وكانت القاعات تمتد حتى تلاصق الأسوار ٠ ومن القاعات تصعد أدراج الى الطبقات العليا ٠ وبلغ اتساع قاعات الجنوب والشرق ١٧ مترا بينما هي في الشمالي والغربي ٢٠ مترا ٠ وبين القاعات بنيت فواصل ٠ وقد بنيت الأسوار مزدوجة ـ واجهة خارجية من حجر منحوت وواجهة داخلية وملىء الفراغ بينهما بالطين الأموي القوي الحاصل من جبل التراب بالتبن وقامت الأسوار على قواعد كانت تنزل في الأرض نحو تسعة أمتار ٠ وعلى الأرض من الداخل أقيمت المنافع البيتية كالمطابخ ودورات المياه والحمامات ٠

ومن أهم المخلفات التي جمعها الحفارون قطع من الرخام الأبيض والأعمدة والتيجان وشعريات الشبابيك وقطع الدرابزين كما وجد على بعض الحجارة أجزاء من الرسوم الملونة لأشكال هندسية وزخارف نباتية ـ وكلها من صناعة الأمويين ٠ وأهم من ذلك الحمامات كالتي وجدت في قصور خربة المفجر وخربة المنية وكانت هذه الحمامات تقام في الجهات الغربية المقابلة لمداخلها الشرقية٠

يظهر أن خراب هذا المبنى نتج عن زلزال سنة ٧٤٧ ـ ٧٤٨م ٠ ولقد رمم هذا البناء في القرن الثامن أو التاسع وقد رفعت الأنقاض المتراكمة أرضية البناء الجديد نحو المتر ٠ وتعرض هذا البناء لخراب أفظع في العهد الفاطمي وفي الحكم الصليبي كما سيأتي ٠

المبنى الثالث :

جلت الحفريات في غربي المبنى الثاني عن مبنى ثالث قام على أساسه من الجنوب السور العثماني لمدينة القدس في القرن السادس عشر ولقد بني جداره الشمالي من حجارة مدقوقة دقا ناعما أصبحنا نرى منه فوق الأرض ما ارتفاعه نحو المترين ٠ ولاحد الأبواب عتبة وخوخة (تقسم الباب الى نصف ارتفاعه) وبني جداره الشرقي

من حجارة ضخمة يزن بعضها ٣ ـ ٥ أطنان لم يبق منها الا القواعد · وكان مدخله من الشارع الغربي يمر بين المبنى والجدار الغربي لهذا المبنى الثالث يقع تحت باب المغاربة للمدينة Dungan Gate ومن المنتظر أن يكون شكله كشكل الباب الشمالي في الطراز الأموي ·

وان ما اكتشف منه الى الان لم يوضح أنه كان فيه أروقة ولا قاعات كما تأكد وجود ذلك في المبنى الثاني على حين أن بلاط هذا المبنى كان كبلاط المبنى الثاني بالضبط · وفي بعض القاعات وجدت الفسيفساء ذات الاتساع ٥و٢ × ٥و٢ سم وفي المبنى مصارف ومجاري · غير أن جدرانه أقل ضخامة مما كانت في جدران الثاني بحيث لا يتجاوز سمكها ١٢٠ سم · وكان الوجه الخارجي مبنيا من حجارة أبعادها ٨٠ × ١٢٠ سم وحجارة الصف الداخلي من حجارة أصغر ٢٥ × ٣٥ سم · وبين الصفين يملأ الفراغ الطين الأموي المعروف· وقد بنيت الجدران على أسس عمقها ثلاثة أمتار· ولقد جمعت من خنادق الحفر كميات من شقف الفخار والنقود من القرنين الثاني عشر والثالث عشر مما ساعد على كتابة معرفة تاريخه · ويعود سبب تخريبه الى أعمال الصليبيين عندما أرادوا أن يحيطوا المنطقة بسور فامتدت أيديهم الى حجارته · وقد ابتدأ السور الصليبي من الزاوية الجنوبية الغربية واتجه شرقا حتى برج كبريت قرب الموضع المعروف ببيت محسي Batei Mahse بعد أن اجتاز فوق الجدار الجنوبي المهدوم ·

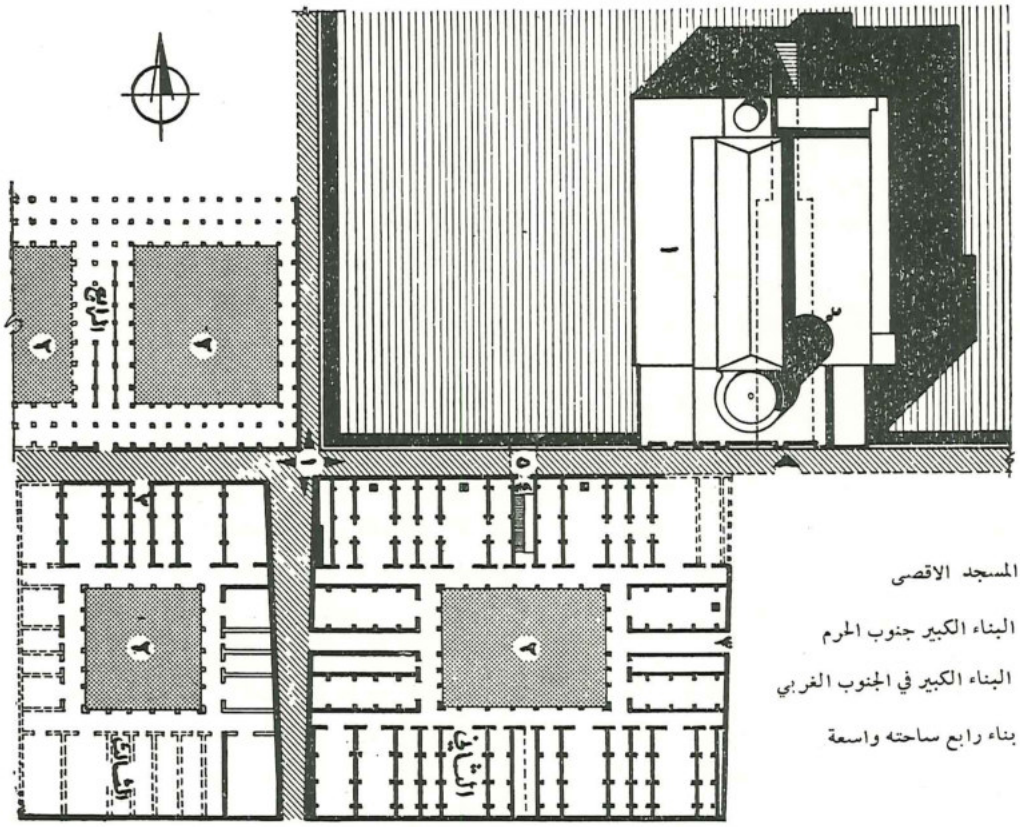

الاول : المسجد الاقصى

الثاني : البناء الكبير جنوب الحرم

الثالث : البناء الكبير في الجنوب الغربي

الرابع : بناء رابع ساحته واسعة

١ ـ شوارع مبلطة بين الابنية والحرم · ٢ ـ ساحات مبلطة في المباني الثلاثة ·

٣ ـ البوابة الشرقية للمبنى الثاني · ٤ ـ بوابة الخروج من المبنى الثاني الى الشارع

٥ ـ بقايا جسر يجمع بين المبنى الثاني والحرم ٦ ـ الباب المزدوج تحت المسجد الاقصى ·

المبنى الرابع :

للشمال من المبنى الثالث وللغرب من السور الغربي اكتشف مبنى أموي رابع ، وظهر أن جداريه الشرقي والجنوبي بنيا من حجارة ضخمة بما يقارب حجارة عصر هرودس وأيام خراب الهيكل الثاني ، وهو يختلف في جدرانه عن جدران سابقيه من حيث أنها بنيت من صف واحد من الحجارة وقد دقت حجارة الوجهين دقاقة ناعمة وطلي الوجه الداخلي بالقصارة · وما تبقى من أوصافه في البلاط والفسيفساء والطين وطراز البناء فانه متشابه تمام التشابه لسابقيه ويمتاز بما فيه من قطع الزخارف ذات الألوان الحمراء والزرقاء والسوداء والخضراء وبفصوص زجاجية أبعادها نصف في نصف سم كانت ترصع سقفا أو واجهة داخلية ولا تزال هذه القطع لاصقة بالطين · ومع أن مخططه أموي صرف فان البعض يجعله من بناء العباسيين في القرن التاسع ·

استنتاجات :

هكذا نستطيع أن نستنتج أن حركة العمران عادت الى القدس في العصر الأموي بعد أن خربت في نهاية عصر الهرادسة على أيدي الرومان ، أعاد الأمويون بناء الأسوار المحيطة بالمدينة وأقيمت أبنية فخمة ضمنها ومع أننا لم نكشف حتى اليوم سوى ثلاثة أبنية فأن الحفريات القادمة ستكشف أبنية أخرى ·

وأصبح من الضروري أن نعيد النظر في قوس ولسون ـ قرب باب السلسلة ـ والأقواس الاخرى الملاصقة لسور الحرم التي قال عنها المكتشف وارن أنها من بناء القرن السادس ونحن نميل الى أنها من عمل الامويين وذلك من دراسة طراز البناء ودق الحجارة والقصارة فأنها كلها أموية وكل الدلائل تشير الى أن المبنى الثاني كان لأحد الخلفاء الأمويين · كما كانت أبنية غيره تلاصق الحرم من الجنوب مخصصة لرجال الدولة والقومة على المسجد ·

ذكر المؤرخ الجغرافي « لي استرانج » Le Strange أن اسم باب البلاط في سور القدس في عهد الأمويين مأخوذ من كلمة «بلاتيوم» أي القصر باللغة اللاتينية · ولقد ذكر المقدسي في كتابه « أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم » أن باب البلاط أو باب القصر العظيم كان في الجنوب الشرقي من الحرم من المدينة وكان يؤدي الى القصر العظيم ·

وتشير المصادر العربية الى وجود دار الاخماس في الجنوب من الحرم ـ وقد يكون المبنى الثاني ، فاذا صدق هذا الاستنتاج فأن عمال الخليفة كانوا يسكنون في الطابق الأرضي من القصر وكانوا يدخلون الى الحرم من الباب المزدوج ، وقد يكون ذلك منطبقا أيضا على المبنى الثالث كما وردت الاشارة الى ذلك في جنيزة القاهرة (٨) وكان المبنيان متلاصقين ·

أما المبنى الرابع فقد يكون مسجدا بالنسبة للغرفة التي وجدت فيه مستعملة كمصلى بدلالة المحراب من جهة القبلة ·

يذكر المقدسي في القرن العاشر وصفا لأسوار القدس وأبوابها ويذكر منها باب الوليد ، وقد ذكره بهذا الاسم مؤرخ عربي آخر هو ابن عبد ربه على حين أن مجير الدين لم يذكره في القرن الخامس عشر ، أما لي سترانج فيجعل باب الوليد في الشمال الغربي من السور ، ولم يذكر المصدر الذي اعتمده في هذا التعيين ، وهو الباب الوحيد الذي ألحق باسم بانيه ويجب أن يكون في السور الجنوبي على الجسر القادم من المبنى الثاني (شكل ١ : ٥) اذا كان الوليد قد بناه حقيقة · وقد بقي هذا الجسر أو الجناح صالحا للمرور حتى القرن العاشر ، ثم تنوسي أو تم تخريبه فلم يذكره أي مرجع بعد هذا التاريخ ·

(٨) الجنيزة حفرة كالقبر تلقى فيها الكتابات الدينية حتى تبلى من ذاتها ·

وهكذا يمكن اعتبار عبد الملك بن مروان الروح التي حركت الاتجاه نحو أهمية القدس وعمل على اعادة عمرانها كأحد مراكز دولته العظيمة فبنى قبة الصخرة وشرع في بناء المسجد الأقصى وأتمه ابنه الوليد كما بنى الوليد المبنى الثاني أو القصر الجنوبي وما جاوره من الأبنية الاخرى كما أمر بتبليط الشارع وأضاف الجغرافي العربي « اليعقوبي » في القرن التاسع سببا في بناء قبة الصخرة فوق الأسباب السياسية والاجتماعية سببا فنيا قوميا وهو أن تطغى قبة الصخرة على عظمة قبة القيامة .

ان سقوط الأسرة الاموية ومجيء الأسرة العباسية قد قطع الصلة بين مركز الخلافة في العراق وبين دمشق والقدس ، وأخذ المركز الديني لمدينة القدس في الاضمحلال والنسيان . ودعمت هذا السبب حوادث طبيعية كزلزال سنة ٧٤٧ ـ ٧٤٨ م الذي دمر القسم الأكبر من أبنية الأمويين واعتبره العباسيون جزءا ألاهيا لظلم بني أمية فأصبحت ديار الظالمين خاوية على عروشها . ومع أن الوازع الديني حمل العباسيين على اصلاح المساجد الا أن القصور بقيت مهجورة مهملة حتى جاءت معاول المنقبين لتبعثها من جديد .

انتهى تقرير الاستاذ بن دوف اليهودي بايجاز. اذا كانت هذه التقارير صادرة عن عدو كان يأمل بايجاد مركز هيكله وبقاياه ليكون في ذلك المبرر لاعادة بنائه ـ اذا كان هذا ما كتبه عدو فماذا كان منقب عربي سيكتب عن هذه المكتشفات العظيمة التي ستفتح صفحة جديدة في تاريخ العرب في مدينة القدس بدأ يكتبها العدو مضطرا.

ولما دعي الجنرال موشي دايان وزير الدفاع الاسرائيلي لمشاهدة هذه الحفريات ظهر عليه الامتعاض وأمر بازالة هذه الطبقة العربية الى ما تحتها من الطبقتين البزنطية والرومانية وازالتهما أيضا بعد أن تنتهي دراستهما والتوقف عند طبقة هرودس ـ باني الهيكل الثاني . وقد اشترط دايان بأن يكون عرض هذا الكشف ما لا يقل عن عشرين مترا حول الحرم الشريف .

دهان احمر على القصارة على الجناح الغربي من المبنى الاموي الثاني

محمود العابدي
المستشار الثقافي
لامانة العاصمة ـ عمان

منجزات دائرة الآثار العامة
١٩٧٢
المهندس يوسف العلمي

أ ـ الحفريات الاثرية

راجع مقال الدكتور معاوية ابراهيم بعنوان « الحفريات الاثرية بالاردن خلال عام ٧٢ » (صفحة ٩٢) .

ب ـ الصيانة والترميم

(١) عمان : ـ لقد تم اكمال مشروع ساحة الفورم والذي استمر طيلة الاربع سنوات الماضية . وقد اجريت بعض الترميمات في مدرج عمان في الجدار العلوي المحيط بالمدرج واكمل حتى نهايته كما أعيد تبليط الممر العلوي الملاصق له واجريت تصليحات في المداخل العلوية كما جرى تنظيف المدخل الشرقي حتى نهايته واثناء عمل المدخل الشرقي لساحة الفورم وجدت ارضية فسيفساء تم الكشف عنها واحاطتها بسور ويمكن للشخص مشاهدتها اثناء عبوره الى ساحة الفورم .

(٢) جرش : ـ

أ ـ بوابة عمان (قوس النصر) : ـ ان اعمال الترميمات في بوابة عمان (قوس النصر) ، استمرت وتم انجاز الواجهة الجنوبية جميعها بحيث اعيدت كما كانت عليه حسب الاثباتات والموجودات المتوفرة في المنطقة كما وجرى ترميم البناء الذي يدعث القوس من الجهة الشرقية (لوحة رقم ١) وفي الواجهة الشمالية تم ترميم الجزء الشرقي ولا زال العمل مستمراً في الجزء الغربي والذي ينتظر الانتهاء منه في سنة ٧٣ .

ب ـ المدرج الجنوبي : ـ بعد ان تم ترميم المداخل الرئيسية للمدرج وساحة الاوركسترا ، بوشر في ترميم المداخل العلوية للمدرج حيث يوجد ثلاثة مداخل معظمها متهدم أزيلت الاتربة والانقاض وتم دعم الجدران وسيستمر العمل في هذه المداخل خلال السنوات القادمة . (لوحة رقم ٢)

(٣) قلعة الربض (عجلون) : ـ

لقد أعيد ترميم بناء جدار القلعة والمتهدم في الواجهة الرئيسية ورفع هذا الجدار في حدود عشرة مداميك (لوحة رقم ٣ ـ أ) كما جرى ترميم واعادة بناء الجدار الشمالي (لوحة رقم ٣ ـ ب) وقد جرى اغلاق بعض الفتحات العلوية في الجبهة الغربية وكذلك الجدران العلوية المحيطة بها في الجهة الجنوبية والشرقية .

واثناء عمليات الترميم في الواجهة الامامية جرى اكتشاف بئر وتم تنظيفه ويرجع تاريخ استعماله الى العصر المملوكي (القرن الثالث عشر)

(٤) أم الرصاص (مأدبا) : ـ

لقد بوشر لاول مرة في مدينة ام الرصاص الاثرية باجراء الترميمات ، وكان البرج الاثري متصدع ومنهار عدة اجزاء منه ولذا تم تقوية الاساسات من جميع الجهات وتنظيف الردم من الداخل وكذلك تم اعادة بناء بعض المداميك لمنع الجدار من السقوط نهائياً وسيستمر العمل خلال سنة ٧٣ (لوحة رقم ٤ ـ أ) .

(٥) البتراء : ـ

١ ـ البوابة التذكارية : ـ لقد تم ترميم الدعامات الجنوبية للبوابة خلال السنوات الماضية وقد تم نهائياً ترميم البوابة ودعمها واعادة المداميك المتساقطة الى مكانها كما اعيدت بعض الاعمدة في واجهاتها وتم تنظيف الساحة الامامية (لوحة رقم ٤ ـ ب) .

٢ ـ الجدار الاستنادي : ـ لقد اعيدت الاجزاء المتساقطة نتيجة للامطار السابقة كما تم اكماله من جهة المتحف وكذلك تم تسهيل الساحة الامامية لقصر البنت أمام الخزنة .

(٦) طبقة فحل : ـ

لقد جرى تسييج المنطقة الاثرية كمرحلة اولى لمنع التعديات عليها وحفظها للمستقبل لاجراء الحفريات الاثرية اللازمة والتي من المنتظر البدء بها في سنة ١٩٧٤ .

جـ ـ المتاحف

(١) المتحف الاردني عمان : ـ

أ ـ عمل دراسة للعملة القديمة وتصويرها وتصنيفها وذلك لعمل كتالوج ، ومن المنتظر ان يصدر خلال سنة ١٩٧٤ .

ب ـ تنظيم معرض للحلي والمجوهرات القديمة ضمن اسبوع الفنون الجميلة الذي اقيم بعمان .

(٢) متحف الفسيفساء :

لقد أنشيء متحف للفسيفساء في قبو الجناح الشرقي بالمدرج الروماني وعرض فيه ٦٠ لوحة فسيفساء تم ترميمها وجمعها من منطقتي مأدباوجرش وقدتم افتتاحه وسيجرى خلال السنة القادمة اكمال هذا المتحف في قبو الجناح الغربي بالمدرج الروماني وبوشر بعمل دليل للمتحف مبيناً فيه صور للقطع وشرح عنها وسيصدر في سنة ١٩٧٣ .

(٣) متحف التراث الشعبي :ـ

لقد تم افتتاح متحف التراث الشعبي بالتعاون مع نادي احياء التراث الاردني في الجناح الشرقي للمدرج الروماني بعمان .

(٤) متحف الجامعة الاردنية : ـ

ضمن برنامج التعاون في حقل الآثار بين الجامعة الاردنية ودائرة الآثار تم الاتفاق على ان تقوم دائرة الآثار بالاشراف الفني على متحف الجامعة الاردنية وتزويده بالقطع الاثرية المختلفة كي يصبح مركزاً للابحاث والدراسات الجامعية مستقبلا . وقد تم تعيين أمناء متحف من قبل الجامعة الاردنية وقامت دائرة الآثار بتزويد المتحف بالقطع الاثرية اللازمة .

د ـ نشاطات اخرى

(١) لقد صدر الجزء الاول من كتاب عن المواقع الاثرية باللغة الانجليزية (الضفة الشرقية)

The Archaeological Heritage of Jordan
The Archaeological Periods and Sites.
Part I (East Bank)

وهو يشمل جميع المواقع الاثرية بالاردن والتي قدرت بحوالي ٤١٧ موقع مع تاريخها مزود بالخرائط التفصيلية مبيناً عليها المواقع الاثرية كما يشمل على مقدمة تاريخية عن الاردن الاثري من قبل مختصين من دائرة الاثار ، ومن المنتظر أن يصدر الجزء الثاني وفيه جميع المواقع الاثرية مع التفاصيل الكاملة والتي تشمل شرح تاريخه والحفريات التي تمت به وما نشر عنه من منشورات أو كتب لكي يساعد علماء الاثار والمهتمين بالضفة الشرقية من الاردن .

(٢) لقد اشتركت دائرة الاثار بمندوبها المهندس يوسف العلمي في مؤتمر الخبراء الحكوميين الذي عقد في باريس في نيسان سنة ١٩٧٢ بطلب من منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) لتحضير مسودة اتفاقية بخصوص حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي . وذلك نظراً لكون التراث الثقافي والطبيعي مهددان بتدمير متزايد ، ليس للاسباب التقليدية للاندثار فحسب ، وانما ايضاً بالاحوال الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة التي تزيد من خطورة الموقف بما تحمله من عوامل الاتلاف والتدمير الاشد خطراً .وقد تم وضع مسودة اتفاقية وتوصيات من اهمها انشاء صندوق التراث العالمي بحيث تكون لديه الموازنة والمخصصات للمساعدة في انقاذ التراث العالمي . واحيل الموضوع للمؤتمر العام لليونسكو لمناقشته في دورته السابعة عشر وحين عقد في الفترة ما بين ١٧ / ١٠ – ٢١ / ١١ /٧٢ بباريس بمنظمة اليونسكو نوقش وتمت الموافقة عليه وارسل للدول الاعضاء للتصديق عليه لكي يصبح فعالا وقد تمت موافقة الحكومة الاردنية على هذه الاتفاقية نظرا لاهمية هذه الاتفاقية في مساعدة الدول في انقاذ تراثها العالمي .

(٣) كما اشتركت دائرة الاثار العامة بمندوبها في المؤتمر العام السابع عشر لليونسكو والذي عقد بباريس بمنظمة اليونسكو وكانت أهم الاشياء التي بحثت موضوع الاتفاقية الخاصة بحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي والذي سبق شرحه . ثم قضية القدس والتعديات الاسرائيلية وعدم تقيد السلطات الاسرائيلية بقرارات المنظمة وقد خصص يوم كامل لعرض القضية من جميع جوانبها وفي النهايه تم اتخاذ القرار التالي :

(بأغلبية ٥٤ صوتا ومعارضة ٣ أصوات وامتناع ٢٠ صوتا) .

ان المؤتمر العام ،

١ – اذ يدرك الاهمية الاستثنائية التي تتسم بها الممتلكات الثقافية الواقعة في مدينة القدس القديمة ، ولا سيما المواقع الدينية ، لا بالنسبة للبلاد المعنية فحسب ، وانما ايضاً للانسانية جمعاء بسبب ما لهذه الاثار من قيمة فريدة من النواحي الثقافية والتاريخية والدينية .

٢ – ويذكر من جديد بأحكام الاتفاقية الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة قيام

نزاع مسلح (لاهاى ، ١٩٥٤) .

٣ – ويذكر من جديد بقرارات مجلس الامن ٢٥٢ (١٩٦٨) في ٢١ مايو – أيار ١٩٦٨ ، ٢٦٧ (١٩٦٩) في يوليو – تموز ١٩٦٩ ، و٢٩٨ في سبتمبر – أيلول ١٩٧١ ، والقرارين٢٢٥٣ و٢٢٥٤ بتاريخ ٤ و ١٤ يوليو – تموز ١٩٦٧ اللذين أقرتهما الجمعية العامة للامم المتحدة بشأن التدابير والاعمال المتعلقة بوضع مدينة القدس .

٤ - ويذكر بالقرارين (٣٤٢ر٣) (٣٤٣ر٣) اللذين أقرهما المؤتمر العام في دورته الخامسة عشر وبالقرارات ٢ ر ٤ ر ٤ – ١ر٣ر٤ ، ١ر٣ر٤ ، ١ر٤ر٤ ، ١ر٣ر٤ التي أقرها المجلس التنفيذي في دوراته ٨٢ و٨٨ و ٩٠ .

٥ – ويذكر على الاخص بالفقرة ٢ من القرار ١ و٣ و٤ الذي أقره المجلس التنفيذي في دورته ٨٨ والذي دعا فيه المدير العام الى ضمان وجود اليونسكو في مدينة القدس للسهر على التقيد بالقرارات التي اقرها في هذا الصدد كل من المؤتمر العام والمجلس التنفيذي .

٦ – ويرى ان المجلس التنفيذي ، المنعقد في دورته ٩٠ ، قد لاحظ في قراره ١و٣و٤ ان موقف اسرائيل لا يتجاوب بطريقة مرضية مع القرارين ١ و٣ و ٤ ، ١ و ٤ و ٤ الصادرين عن المجلس التنفيذي كما جاء في خطاب المدير العام المؤرخ ١٨ يوليو – تموز ١٩٧٢ وان المجلس قرر بالنظر لموقف اسرائيل ، ان يطرح هذه المسألة على المؤتمر العام للنظر فيها بموجب المادة ٣ ر ١٣ (الوثيقة ١٧م/٥ – الفصل الفرعي ٤ر٣ / ٤٧ . . . صون التراث الثقافي واحياؤه) من اجل التوصل الى تطبيق فعال للقرارات التي اعتمدها المؤتمر العام والمجلس التنفيذي في هذا الصدد .

٧ – ويدرك ان اسرائيل ماضية في انتهاك القرارات في هذا الموضوع ، وهو موقف يمنع المنظمة من اداء رسالتها ، وتحقيق أهدافها المحددة في ميثاقها التأسيسي .

٨ – يأسف لاستمرار اعمال التنقيب عن الاثار التي تجريها اسرائيل في مدينة القدس .

٩ – ويوجه نداء عاجلا الى اسرائيل :

أ) لاتخاذ جميع التدابير اللازمة للحرص الدقيق على صون كل المواقع والمباني والاثار وغيرها من الممتلكات الثقافية ولا سيما تلك الموجودة في مدينة القدس القديمة .

ب) لتمتنع عن أي تغيير في طابع مدينة القدس .

ج) لتمتنع عن أي اعمال للتنقيب عن الاثار او نقل الممتلكات الثقافية ، وعن اي تغيير في طابعها او معالمها الثقافية والتاريخية . وخاصة فيما يتعلق بالمواقع الدينية المسيحية والاسلامية .

د) لتقيد بدقة بأحكام الاتفاقية الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة قيام نزاع مسلح (لا هاى ، ١٩٥٤) بالقرارات المذكورة اعلاه .

١٠ – يدين موقف اسرائيل ويدعو المدير العام الى ضمان وجود اليونسكو وجودا حقيقيا في مدينة القدس من اجل ضمان التنفيذ

الفعلي للقرارات التي اعتمدها في هـذا الصدد كل من المؤتمر العام والمجلس التنفيذي .

١١ — **ويدعو** المدير العام الى تقديم تقرير للمجلس التنفيذي في دورته ٩٢ عن تطبيق هذا القـرار حتى يـدرس المجلس التدابـير الواجب اتخاذها .

المهندس يوسف العلمي
مساعد مدير الآثار لشؤون الصيانة والترميم
دائرة الآثار العامة ـ عمان

اضـواء على تاريخ بابـ الذراع

الدكتور معاوية ابراهيم

قامت سنة ١٩٢٤ المدرسة الامريكية للابحاث الشرقية في القدس تحت اشراف وليم أولبرايت بأعمال حفر على نطاق ضيق في موقع باب الذراع على الجانب الشرقي للبحر الميت في منطقة تدعى اللسان [١] وهو من أوائل المواقع الاثرية التي جرت فيها أعمال الحفر في منطقة شرقي الاردن الا أن النتائج التي ظهرت للقائمين على العمل لم تنشر الا بعد مضي عشرين سنة لعدم تمكن هؤلاء من اعطاء تاريخ دقيق للاثار المكتشفة أو على الاقل انسابها الى مرحلة معينة من حلقة التسلسل التاريخي ، كما لم يلاحظ الحفارون الاوائل علاقة المكتشفات هذه مع تعاقب الارضيات السكنية التي تشكل التعاقب الزمني للموقع الاثري · حتى وبعد الانتهاء من العمل بزمن طويل لم يكن بالامكان تأريخ المكتشفات من لقى وأساسات معمارية الا أنها نسبت الى العصر البرونزي القديم بشكل عام [٢] ، دون ملاحظة تطور الاواني الفخارية ، من حيث صناعتها ، أشكالها وأصنافها ، ولم تكن مقارنتها مع مكتشفات معاصرة في فلسطين صحيحة تماما ·

قال أولبرايت أنه غير محتمل أن يغطي فخار باب الذراع فترة زمنية تتجاوز القرنين على الاكثر وأن آخر تاريخ هو القرن الحادي والعشرون ق·م وأعاد معظم الاواني الفخارية الى القرن الثاني والعشرين ق·م [٣] · لدى اعطائه مثل هذه الارقام التاريخية اعتمد أولبرايت على مقارنات من مواقع أخرى مثل أريحا وتل بيت مرسيم (فلسطين) وأدر على بعد بضعة كيلو مترات الى الشمال الشرقي من مدينة الكرك ، علما بأن الحفر في الموقعين الاخيرين قد جرى من قبل أولبرايت نفسه ·

قلما ورد ذكر باب الذراع في تقارير علماء الآثار وبقي الموقع بعيدا عن أنظار الزوار حتى عام ١٩٦٥ · ففي ذلك العام لاحظ العاملون في الاثار في القدس أوان فخارية في حوزة تجار العاديات وبين أيدي السياح والمواطنين الذين أعادوا مصدرها الى باب الذراع فأسرعت دائرة الاثار بالتعاون مع المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في القدس للقيام بأعمال حفر منظمة في هذا الموقع تحت اشراف الدكتور بول لاب ، توقفت الحفريات بعد ثلاثة فصول متتالية (١٩٦٥ ـ ١٩٦٧) قبل اتمام العمل [٤] ·

كشفت الحفريات النقاب عن موقع أثري نعتبره من أهم المواقع الاثرية في البلاد ولم تسهم نتائج على ملاحظاته واقتراحاته هذا بالاضافة الى مقالاته وابحاثه التي استشهد بها هنا · P. Lapp

The Cemetery at Bab ed-Dra, Jordan, in : Archaeology 19/2 (1966), p. 104ff; RB 73 (1966), p. 552ff; RB 75 (1968), p. 86ff. Bab ed-Dra' Tomb A 76 and the Early Bronze I in Palestine, in: BASOR 189 (1968), p. 12ff; The Cemetery at Bab ed-Dra', Jordan in: Archaeological Discoveries in the Holy Land, compiled by the Archaeoloical Institute of America, New York (1927), p. 35ff.

١) W. Albright
The Archaeological Results of an Expedition to Moab and the Dead Sea, in: BASOR 14 (1924), p. 2ff.; Bibliotheca Sacra LXXX, p. 262ff.; Biblica 5, p. 413ff.

٢) W. Albright
Early Bronze Pottery from Bab ed Dra'in Moab, in: BASOR 95 (1944), p. 3ff.

٣) انظر حاشية (٢)

٤) اتقدم هنا بالشكر الجزيل للدكتور بول لاب (المتوفي)

الدراسات عنه في حل عدد من المشكلات في حلقة التسلسل التاريخي فحسب بل أنها أضافت معلومات جديدة عن حياة وتقاليد أناس الالف الثالث ق٠م في المنطقة وأعطت أرقاما تاريخية جديدة غير التي ذكرها أولبرايت كما ورد أعلاه ٠

تركزت أعمال الحفر والاستقصاء الاثري على مقبرة تشغل مساحة واسعة وفي منطقة سكنية تنسب اليها بعض المقابر (لوحة رقم ٤) تبين المقابر التي تم حفرها ٠

تعتبر المقبرة من أغنى المقابر التي عرفها الشرق القديم وأكثرها استمرارا في الاستعمال اذ لا نبالغ اذا قلنا أن فقط عدد الاواني الفخارية التي عثر عليها خلال الفصول الثلاثة يتجاوز ٢ر٥ مليون آنية ، عدا الادوات المعدنية واللقى الاخرى ، كما واستمر استعمال المقبرة دون انقطاع فترة زمنية تزيد على الالف سنة ، أي من أواخر الالف الرابع حتى أواخر الالف الثالث ق٠م٠ يبدأ تاريخ الموقع مع موجات بشرية هاجرت الى المنطقة في هذا الوقت المبكر ٠

يلاحظ المتتبع لآثار المنطقه والتطور الحضاري فيها أن القادمين الجدد مع بزوغ العصر البرونزي القديم قد استخدموا طريقة جديدة لدفن موتاهم لم نعرفها من قبل وأصبحت مقابرهم ومحتوياتها مع ما يحيط بها من تقاليد دينية أهم مصدر لنا للتعرف على تاريخ فلسطين وأجزاء أخرى من شمالي سوريا في هذه المرحلة التاريخية ٠

بالنسبة لعصور سبقت فقد عرفنا طرق أخرى لدفن الموتى : ففي العصر الحجري ، المتأخر المرحلة التي سبقت استعمال الفخار (Pre-Pottery Neolithic) عثر الحفارون على الموتى مدفونين تحت مصاطب البيوت (٥) وبعد ظهور الفخار (Pottery Neolithic) نقلت جثث الموتى خارج المنطقة السكنية وأودعت لقوى الطبيعة دون أن يولوها اهتمامهم (٦) أما في العصر الحجري النحاسي (حضارة غسول ـ بئر السبع) فقد أولوها اهتماما أكثر فهي إما ان وضعت في جرار كبيرة كما هو الحال في تليلات الغسول أو في صناديق من الفخار مستطيلة الشكل محاطة بزخارف وأشكال هندسية وحيوانية ، وأحيانا صنعت من الحجر ، غالبا ما عثر عليها مصحوبة بعدد من الاواني الفخارية في كهوف بعيدة عن مناطق السكن (٧) يلي ذلك المرحلة التي تنسب اليها مقابرنا في باب الذراع والتي أمكن تقسيمها الى ثلاثة أنواع رئيسية يمثل كل منها مرحلة زمنية ٠

النوع الاول والاقدم (٨) (Shaft tombs)
(لوحة رقم ١ ـ أ، ب) عبارة عن تجويف عمودي مقطوع في الصخر الطري (ترسبات متحجرة)

٥) K. Kenyon Archaeology in the Holy Land p. 53.

٦) Ibid Burial Customs at Jericho,

٧) تتطلب هذه الصنادق دراسة تفصيلية لاهميتها من الناحيتين الدينية والحضارية في الالف الرابع ق٠ م٠ ، على اي حال فقد عثر عليها بكميات كبيرة ومتنوعة في يازور Azor بالقرب من تل ابيب وام قطنه ، راجع :
J. Perrot, Une tombe à Ossuaires du IVe millénaire à Azor, près de Tel-Aviv, in: Atiqot 3 (1961), p. 1ff.
R. De Vaux, Palestine during the Neolithic and Chalcolithic periods, in: CAH 47 (1966), p. 32ff.

٨) هناك وصف تفصيلي ودقيق للدكتور بول لاب من خلال مثال لاقدم مقابر باب الذراع ، راجع
P. Lapp, BASOR 189 (1968), p. 14ff.
مقابر اريحا التي تطلق عليها كائلين كنيون
Proto-Urba A, B.
K. Kenyon, Jericho I, p. 4ff., figs. 2-22;
Jericho II, p. 3ff., figs. 1-13
في هذا العدد من الحولية دراسة شاملة ،
أعداد كبيرة من هذه القبور كشف عنها في تل المتسلم و (مجدو)

P.L.O. Guy,
Megiddo Tombs, in: OIP 33 (1938), Tombs 9, 903, 1103, 1106, 1126, 1127
R. M. Enberg
Notes on the Chalcolithic and Early Bronze Age
G. M. Shiptom,
Pottery of Megiddo, in: SAOC 10 (1934)
كذلك مقابر تل الفارعة التي ينسبها ديفو الى العصر الكالكوليثي المتأخر راجع :
R. De Vaux,
Les fouilles de Tell el-Far'ah, in: RB 68 (1968) p. 557ff.
J. L. Hout ,
Typologie et Chronologie Relative de la céramique du Bronze Ancien à Tell el-Far'ah, in: RB 74 (1967), p. 517ff.
قام بتصنيف مقابر عي Proto Urban الدكتور كالواي ، راجع :
J. A. Calaway ,
Pottery from the Tomb at Ay, London, (1964).

يتراوح عمقه ١٠ر٢ م يتسع في قسمه السفلي ويتفرع عنه تجويف آخر أو أكثر تم فيها دفن الموتى · المدخل بيضوي الشكل تقريبا وباتجاه الاسفل سرعان ما يأخذ شكل مستطيل زواياه قوسية ثم يتسع عند القاعدة ويأخذ في الاستدارة ·

مقابل ذلك يوجد بين هذه القبور مداخل اسطوانية الشكل بزوايا منحنية · وقد أحكم سد المداخل بتراب كلسي من نفس الصخر الذي قطع فيه القبر ، وفي حالات أخرى أفضل من الاولى صنع للمدخل غطاء على شكل لوحة حجرية كبيرة وأجلس بدقة تحت الفوهة بقليل · أما مداخل التجاويف (الغرف) الجانبية فقد أغلقت بواسطة ثلاثة أو أربعة حجارة غير منتظمة الشكل تتخللها حجارة أصغر حجما ، كما وجد خلف كل مدخل درجة تؤدي الى أرضية الغرف الفرعية ·

والجدير بالذكر أنه تم الكشف عن أكثر من خمسين غرفة تابعة لثلاثين قبرا من نفس الفترة الزمنية ولم يسبق أن فتحت منذ أن أغلقت أول مرة ، وظهر في السقوف وبعض الواجهات الاخرى حزوز القطع من جراء شفرات صوانية بلغت أطوالها ١٠ × ٣ر١ سم ·

محتويات القبور : غالبا ما احتوى القبر على كوم من العظام لعدد من الموتى ألقيت على أرضية من الرمل الناعم ، الكبيرة منها مرتبة بالتوازي والصغيرة دون انتظام ووضعت الجماجم على حده · تمثل الجماجم رجالا ونساء وأطفالا مصطحبين بأعداد كبيرة من الاواني الفخارية ، في معظم الحالات وعاء من البازلت وحالات أخرى وعائين ، دبسه أما من الرخام ، الحجر القاسي أو البازلت ويظهر أن الاسواره كانت هدية نادرة ·

هنالك شكلان رئيسيان يغلب وجودهما بين الاواني الفخارية : أ) جره محلاه بأذنيين أحيانا واحدة بين الحافة والكتف و (أو) بيدين ملصقتين على الجانب · ب) صحن عميق قاعدته منبسطة وحافته منحنية الى الخارج · كثيرا ما يكون القسم العلوي من الاواني مزخرفا بصفوف من نقاط متلاصقة محفورة (صف واحد في أغلب الاحيان) · جميع المكتشفات الفخارية مصنوعة من طينه واحدة بواسطة يد ماهرة ولم يهتد صانعوها الى عجلة الفخار كما هو الحال في عصور متأخرة · نجدها من الخارج مغطاة بقشرة رقيقة مصقولة ويظهر عليها من جراء الشوي لمعان بين الرمادي والاسود ، وتشير أدلة كثيرة على أنها صنعت خصيصا لتدفن مع الموتى ولم يسبق أن استعملت لاغراض أخرى ·

اقتصر وجود هذا الصنف من الفخار في أغلب حالات هذه المرحلة على القبور كما تبين من المصادر المنوه عنها أعلاه الا أنه كشف عنها في أرضيات سكنية تكاد تخلو من الابنية كما هو الحال في أريحا [٩] ، تلول أبو العلايق بالقرب من أريحا [١٠] ، حفر سكنية في تل الفارعة قضاء نابلس [١١] ، خربة الكرك على بحيرة طبريا [١٢] ، في مرج ابن عامر [١٣] ، ميصر [١٤]

٩) B. Hennessy,
The Foreign Relations of Palestine during the Early Bronze Age, London (1967), Square E III-IV.

١٠) J. B. Pritchard,
The Excavations at Herodian Jericho 1951, in: AASOR 32-33 (1958), p. 14ff.

١١) R. De Vaux RB 68 (1961), p. 563f.

١٢) B. Meisler and M. Stekelis,
The Excavations at Beth Yerah(Khirbet el-Kerak), in: IEJ 2 (1952), p. 165ff; 218ff.

١٣) كثيرا ما توجد مكتشفات هذا العصر مصنفة تحت اسم حضارة مرج بني عامر Esdraelon Culture حيث وجدت لاول مرة والمواقع المهمة المعنية : تل التلسم في المراحل V-VI والطبقات XX-XIX راجع :
M. Dothan ,
Some Problems of the Stratography in Megiddo XX, in: EI5 (1958), p. 38ff.
K, Kenyon ;
Some Notes on the Early and Middle Bronze Age Strata of Megiddo, in: EI 5 (1958), p. 52ff.

١٤) عغولة (في بعض الحفر السكنية) ، راجع :
E. Sukenik ;
Archaeological Discoveries at Affula, in: JPOS 21 (1948), p. 1ff.
Ibid ;
Late Chalcolithic Pottery from Affula, in: OEQ 68 (1936), p. 150ff.

طبقات XVII-XVI في بيسان ، راجع :
G. M. Fitzgerald; The Earliest Pottery of Beth Shan.

(Meser) تل الأساور [١٥] ، وعدد من المواقع في غور الاردن أهمها : تل أم حماد الشرقي [١٦] تل الشونه [١٧]

تم الكشف في باب الذراع عن مخيم سكني لم تكن أساساته واضحة المعالم الا أن لوجودها أهمية كونها تنسب الى أقدم مقابر الموقع التي أوجزت مزاياها ·

يختلف العاملون في الآثار الفلسطينية في تسميةهذه الفترةفيطلق عليها وليم أولبرايت [١٨] (Late Chalcolithic)الأب ديفو Eneolothique Superieur (Chalkolitique superieur) وأخيرا [١٩] كنيون وبازل هنسي [٢٠] ، (Proto Urban A.B.C.) وبول لاب وأرنست رايت وروث أميران [٢١] ، (Early Bronze I,A,B,) في الحقيقة لم يكن الخلاف بين هؤلاء اسميا بل أن هناك تباين في المفاهيم في النظرة الى التقلبات الاجتماعية والحضارية وتفاوت في النتائج المترتبة على أعمال الحفر وتصنيف المكتشفات في المواقع الاثرية المختلفة والتي من شأنها تقرير الانتقال من عصر الى آخر · على أي حال ليس من السهل على طلاب الاثار فهم وجهات النظر المنوه عنها · ان دراستي للمادة مع تبعيتها للارضيات السكنية تشير الى أن الجماعات التي خلفت لنا مثل هذه المقابر قد غيرت الكثير في أساليب حياة ومعطيات سكان فلسطين مما يجعلنا نعتقد أنه مع قدومهم قد دخلت المنطقة عهدا جديدا من المفضل تسميته العصر البرونزي القديم الاول [٢٢] (مرحلة مبكرة) الذي تلا العصر الحجري النحاسي وليس جزءا منه مع أن التسمية (Proto Urban) تتناسب وواقع الشعب الجديد الا أنها تبدو غير مرضية اذ ترتبط مع ما تبع من تطور · تتفق هذهالدراسة في تقسيم مراحل العصر البرونزي القديم بشكل عام مع البينات التي ظهرت عند بول لاب في باب الذراع ، ولا مجال هنا للدخول في تفاصيل النقاش حول هذا الموضوع ·

يستنتج من تصنيف للمكتشفات في باب الذراع (خاصة الاواني الفخارية) ومن التقلبات الطارئة على أقدم مجموعة من القبور ، والتي صعب تميزها ، بأن ثلاثة استعمالات ضمن عصر واحد قد مرت عليها يسميها بول لاب [٢٣] · (EB IA, B, C) معالم مثل هذا التطور يظهر أيضا عند كاثلين كنيون لدى دراستها لمقابر أريحا (Proto Urban C.) مع العلم بأن (Proto Urban A.B.) غير ممثل في أريحا وتبحث عنه كنيون في مواقع أخرى في فلسطين [٢٤] ·

يجعلنا هذا التصنيف مع ما يرافقه من أدلة

١٤) M. Dothan
IEJ 7 (1957), p. 127f.; 217ff.
IEJ 9 (1959), p. 13ff.

١٥) M. Dothan
IEJ 3 (1953), p. 263.

١٦) N. Glueck
A Chalcolithic Settlement in the Jordan Valley, In: BASOR 97 (1945), p. 10ff.
M. Ibrahim
Leistenbenkelkeramik ... Appendix, Tel Umm Hammad as-Sarqi (unpubl.)

١٧) H. de Contenson
Three Soundings in the Jordan Valley, in: ADAJ IV-V (1960), p. 12ff.
انظر Ibrahim حاشية ١٦ Tel as-Suña

١٨) W. Albright
COWA, p. 58

١٩) R. De Vaux
RB 68 (1961), p. 588ff;
P. Lapp
RB 74 (1967), p. 539ff.

٢٠) K. Kenyon
Archaeology in the Holy Land, p. 84ff;
Jericho 1, p. 4 ff
Jericho 11, p. 3 ff
J. Hennessy
The Foreign Relations....., p. 6ff.

٢١) لا يتفق الثلاثة في تفاصيل هذه التقسيمات بالاضافة الى ان ارنست رايت استعمل سنة ١٩٣٧ في رسالته الاصطلاح كالكوليثي متأخر وغير رأيه فيما بعد ؛ راجع :
E. Wright
PPEB; EI 5 (1958), p. 37ff.
BASOR 189 (1968), p. 12ff.

٢٢) انظر Ibrahim حاشية ١٦ ·

٢٣) P. Lapp
Palestine in the Early Bronze Age, in: Near Eastern Archaeology in the Twentieth century, Essays in Honor of Nelson Glueck, New York (1970), p. 101ff.

٢٤) انظر حاشية ٩

أخرى تميل الى الاعتقاد بأن أصحاب القبور الذين غالبا ما قدموا من الشمال على شكل موجات رئيسية ثلاث قد استوطنوا المناطق الخصبة كالساحل السوري الفلسطيني ومرج ابن عامر والاغوار وبعض المناطق الجبلية مثل القدس ومنطقة الخليل وبعض المواقع في شمالي الاردن · وقد أمكن تتبع قدومهم الى فلسطين وجنوبي سوريا في عدة دراسات [٢٥] ، واستنتاجا من مقارنات للادوات التي عثر عليها في القبور مع ما عاصرها في مصر وشمالي سوريا فقد كان الشعب الجديد على علاقة وثيقة مع شعوب المنطقة المجاورة وأصبح معها تبادل حضاري وعلاقات تجارية [٢٦] ·

لم تكن هذه الجماعات متحضرة وأخذت تمارس حياة الرعي وانصاف البداوه ولربما أيضا حياة زراعية بدائية ولا بد أنهم استفادوا من حضارة من سبقهم في المنطقة في الالف الرابع ق·م ،هذه الحضارة التي كانت منتشرة على نطاق واسع في ضفتي الاردن [٢٧] وادخلوا الكثير من معرفة وتقاليد أخرى في الوطن الجديد ·

كشفت الحفريات أيضا عن مخيم لم يستوف الدراسة بعد وبمكن أن ينسب بدون تردد الى الجماعات الاولى التي قطنت باب الذراع ، الا أنه لم يبق الامر على هذا الحال اذ تطور فن العمارة في العصر البرونزي القديم الثاني والثالث فظهرت أبنية للسكن محاطة بسور حصين وأدخلت تحسينات على البضائع كما استعملت عجلة الفخار في صنع الاواني الفخارية الملونة وغير الملونة وأصبحت وسائل الانتاج تقترن بحياة المدينة ، غير أنه من الملاحظ أن هذا التطور لم يتم بسرعة كما هو الحال في أريحا القديمة حيث أقيمت في أواخر العصر البرونزي القديم الاول (المرحلة المبكرة) أبنية سميكة من الحجر والطوب على أساسات من الحجارة الثقيلة وذلك تبعا لتقليد خاص في فن العماره اتضحت معالمه في أريحا [٢٨] ، وسرعان ما تضاعفت هذه الابنية معززة بتحصينات تبقى هذه المخلفات تمثل مرحلة انحطاط في العمارة الفلسطينية اذا ما قورنت بما سبقها من حضارة تعرف باسم حضارة غسول ـ بئر السبع ·

النوع الثاني من قبور باب الذراع (Charnel huose) (لوحة ٣ ـ أ) عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل جدرانها مبنية من الطوب على طبقة من الحجارة غير المنتظمة ، أطوالها ٥٠ر١١ × ٥٠ر٥م حتى ٧ × ٥م ، (لوحة رقم ٣ ـ ب) تبين مدخلها في الجانب العريض كما هو الحال في المعابد والبيوت الكنعانية · يغطي جانبي المدخل لوحتان حجريتان ولوحة أخرى أغلق بها · يوصل المدخل بأرضية الغرفة درجة أو درجتان · غالبا ما رصفت أرضية الغرف بالحصى · أعيد استعمال هذه القبور أكثر من مرة في العصر البرونزي القديم الثاني والثالث ·

وقد شوهد حريق شمل عددا من هذه المقابر وتشير الدلائل أن عملية الحريق كانت قد تمت من قبل مهاجمين للمنطقة في النصف الثاني من الالف الثالث ق·م وأعطى فحص المواد المحروقة أرقاما تتراوح ما بين ٢٤٠٠ ـ ٢٣٠٠ ± ٢٥٠ق·م

موجودات هذه القبور : أكوام من العظام والاواني الفخارية بلغ ارتفاعها أحيانا أكثر من المتر بعض هذه الاكوام كانت مصنفه حسب أحجام العظام ، فيظهر أن العظام الكبيرة وضعت على جانب ، الصغيرة على جانب آخر والجماجم منفصلة عنها وكذلك حال الاواني الفخارية ، الا أنه عثر أيضا على هذه الاكوام بشكل يخالف هذا التصنيف · الاواني الفخارية مصنوعة على العجلة كما هو الحال في معظم فخار العصر البرونزي القديم الثاني والثالث من هذه الاواني

٢٥) انظر De Vaux حاشية ٧ Ibrahim حاشية ١٦

٢٦) H. Kantor
The Early Relations of Egypt with Asia, in: JNES I (1942), p. 185; Tab. p. 205.
انظر ايضا حاشية ٩ Ibrahim حاشية ١٦

Excurs III, IV

٢٧) للاطلاع على مدى انتشار حضارة ما قبل المهاجرين الجدد، راجع ما كتبه ديفو حاشية ٧ ، كذلك رايت حاشية ٢١

٢٨) انظر حاشية ٦

ما هو مصقول ومغطى بقشرة رقيقة ملساء أو مطلي بأشكال هندسية ، وألصق على جوانب العديد منها أياد مختلفة الاشكال والاحجام وموضوعة أفقيا ·

وهناك عدد وافر من الاواني المعروفة بأباريق أبيدوس Abydos-Shaped pots مصرية الاصل كما عثر فيها على لوحات ودبسات من الحجر ومجموعات من الخرز وكذلك أسلحة تضم فؤوسا وخناجر طويلة · وقد عثر على بقايا قماش وخشب شمله الحريق

يوجد قبر واحد (لوحة ٢ ـ أ) مستدير الشكل يختلف عن بقية المقابر بمحتوياته التي يعيدها الحفارون الى أواخر العصر البرونزي القديم الاول (٢٩) (EB Ib) كما أن الطوب المستعمل في جدرانه غير منتظم الشكل بخلاف المقابر المستطيلة الا أن نظام المدخل يطابق الوصف أعلاه ·

النوع الثالث والاخير Cairn burials عبارة عن حفرة مفرغة مقطوعة في الطين وجد في كل منها هيكل عظمي واحد بصحبته بضعة أواني فخارية صنعت باليد عدا العنق الذي تظهر عليه آثار العجله · وقد ملئت الحفر بالحجارة لتشكل فى النهاية كوما فوق سطح الارض ·

في الحقيقة أن هذه المقابر ليست متجانسة في أشكالها الا أنه لم يكشف الا على عدد قليل منها مما لا يسمح بتصنيفها من جديد · على أي حال تختلف هذه المقابر مع موجداتها عن النوعين سالفي الذكر وتنسب الى الجماعة الذين جاءوا الى البلاد في أواخر الالف الثالث ق·م ودمروا المنطقة فيكون قد قضي مع قدومهم على حضارة العصر البرونزي القديم التي استغرقت مدة تزيد عن ألف سنة ، التسمية المقترحة لهذه الفترة هي: المرحلة الانتقالية بين العصرين البرونزي القديم والمتوسط · لا يؤخذ بهذه التسمية من قبل جميع العاملين في الاثار الشرقية فيطلق عليها بول لاب : (٣٠) Intermediate Bronze Age I كاثلين كنيون (٣١) Early Bronze — Middle Bronze أميران وأولبرايت وغيرهما: (٣٢) Middle Bronze I, رولان ديفور : (٣٣) Early Bronze IV

مع أن النقاش حول هذا الموضوع معقد وطويل الا أنه هام وممتع ولم يصل الى نهايته بعد وقد تطرق اليه المؤلف في أطروحته وخلاصة القول أن أصحاب القبور هم جماعة رحل غير متحضرين ولا شك أنهم ساميو الاصل وليس من البعيد أنهم جاوروا سكان المدن في فلسطين وشرقي الاردن كما هو الحال في شمالي سوريا والرافدين لفترة طويلة وقاموا بغزوات متعددة الى أن أمكنهم القضاء على أعدائهم من سكان المدن رغم تحصينها بعد ذلك قطنوا المناطق المحتلة في مخيمات سكنية · ومن الواضح أنهم لم يأتوا بعادات وتقاليد جديدة بل أخذوا الكثير من تقاليد ولربما معتقدات السكان القدماء هذا ما يظهر من أسلوب دفن موتاهم ، وأشكال الاواني الفخارية والادوات المعدنية التي لا تختلف بطابعها العام عما عرفناه في العصر البرونزي القديم

لم تكن هذه المرحلة الانتقالية لنشاهدها فقط في الجنوب من سوريا ، بل ان هناك أدلة واضحة على وجودها في مصر وبلاد ما بين النهرين ، أي أنها شملت معظم بلاد الشرق (٣٤) ، وأن المجموعات القبلية وراء هذا التحول هي نفسها التي ترد في سجلات السومريين والبابليين

(٢٩) P. Lapp, The Dhahr Mirzbaneh Tombs, New Haven (1966), p. 116.

(٣٠) K. Kenyon, Jericho I, p. 180ff Jericho II, p. 32ff.

(٣١) W. Albright, The Archaeology of Palestine, London (1961), p. 80

(٣٢) R. De Vaux, Palestine in the Early Bronze Age, CAH 46, (1966), p. 8

(٣٣) R. Amiran, Ancient Pottery of the Holy Land, Jerusalem (1969), p. 79ff.

(٣٤) P. Lapp, The Dhahr Mirzbaneh..., p. 86ff.

القدماء [٣٥] فقد عرفوا بالسومرية باسم «مارتو» والبابلية القديمة باسم « أمـورو » ، حتـى أن نصوص مدينة مارى البابلية تشير الى أسماء عدد من هذه القبائل مع الدور الذي لعبته في تسلم مقاليد الحكـم في شمالي مـا بيـن النهرين ٠ وبالنسبة لآثـارهم في بـاب الذراع فيظهر أن المنطقة كانت من نصيب هذه القبائل في الغزوات الاولى وهذا ما يبرر التسمية المرحلة الانتقالية الاولى : Intermediate Brone zI التي تنطبق على عدد آخر من المواقع التي عثر فيها على مثل هذه القبور ٠ ويرى بول لاب دلائل للمرحلة الانتقالية الثانية Intermediate Bronze II ممثلة في عدد من قبور ظهر مرزبانه في أواسط فلسطين كان قد أشرف بنفسه علـى حفرهـا ودراستها [٣٦]

هناك عدد كبير من المواقع التي عثر فيها على مثل هذه القبور من أهمها [٣٧] : أريحـا تـل أكتانو في غور الاردن ، تل المتسلم في مرج ابن عامر ، ظهر مرزبانه وعين سامية والجيب شمالي القدس ، تل الدوير وتل العجول جنوب فلسطين، عمان والحصن في شرقي الاردن ، يمكن لدارسي هذه المكتشفات تصنيف القبور بشكـل دقيـق واظهار الفوارق بينها وهذا ليس مجال بحثنا الا أن العلماء متفقون تقريبا على تأريخها بعدالمرحلة الثالثة من العصر البرونزي القديم وأنها متصلة بالتقلبات السياسية والعسكرية التي تميز نهاية هذا العصر ٠

ليس لدينا أي دليل بأن الموقع قد استعمل في العصر البرونزي المتوسط أو بعد ذلك ويظهر أنه هجر كليا وغالبا ما يعود ذلك الى أسباب تتعلق بصعوبة تحصينه ٠

فأهمية باب الذراع تعود الى كبر حجم المقبرة مع تنوع المقابر ومحتوياتها والتي نستطيع مـن خلالها استقراء حلقة كاملة للتسلسل التاريخي في الالف الثالث ق٠م كما أننا لم نشهد مقبرة تضاهي باب الذراع في غناها بالموجودات ٠ وهذا يشير الى أن الموقع كانمركزا حضاريا هاما لمنطقة واسعة الاطراف اذ لا يعقل أن تكون هذه المقابر التي قدر عددها بأكثر من ٢٠ ألف قبر لمنطقة محصورة في باب الذراع أو أنها كـانت مجرد مقبرة تدفن بها الموتى بل أنها على علاقة وثيقة بديانة ومعتقدات السكان ٠

مع أن أعمال البحث والاستقصـاء لم تصـل نهايتها الى أننا لا نتردد عن القول بأن مواقـع العصر البرونزي القديم في المنطقة الممتدة مـا بين البتراء ومأدبا محدودة ، والمعروف منها مبين على الخارطة (لوحة ٥) وهي بدورها غالبا ما تمثل مرحلة متأخرة من العصر البرونزي القديم

يتضح من خلال دراسة المنطقة المشار اليها أنها كانت تضم عددا كبيرا من المخيمات السكنيـة والتي لجأ سكانها الى باب الذراع لاداء الطقوس الدينية وفي مرحلة معينة لتقديم الضرائب التي فرضتعليها من قبلرؤساء دينيين أو سياسيين٠

كما أننا نستدل مـن المكتشفـات والظـروف المحيطة بها على أن في باب الذراع تطور حضاري فيه نوع من التجانس ، اذ لا يشاهد انقـلاب مفاجيء في وسائل الانتاج التي تتضح من خلال ما كشف عنه ٠ والملاحظ في كل المراحـل أن الناس الذين تعاقبوا على المنطقة احترموا مخلفات من سبقهم واستعملوا المنطقة ذاتها دون مساسها بأذى الا هؤلاء الذين تنسب اليهم المقابر المتأخرة، فقد هاجموا ودمروا العديد من المدن البرونزية القديمة كما وأنهم نبذوا حياة المدنية وفضلـوا العيش في مخيمات تارة ومتنقلين تارة اخرى ، ومع ذلك فقد قلدوا من سبقهم في كثير مـن العادات مثل دفن الموتى وصناعة الاواني الفخارية والادوات المعدنية ٠

٣٥) D. O. Edzard
Die Altoriêntischen Reich I, Fischer Weltgeschichte, Frankfurt (1965), p. 167ff.
K. Kenyon
Amorites and Canaanites, London (1966), p. 6ff.

٣٦) انظر حاشية ٣٠ ٠

٣٧) توزيع القبور مع اوجه المقارنة بينها مبين عند لاب ، راجع حاشية ٣٠

كما يستدل من التطور الذي نشاهده من خلال صناعة الفخار وأشكاله ومن التقاليد المتعارف عليها في أقدم القبور الى أن انتهى ذلك بالقضاء على الحضارة في نهاية الالف الثالث ق٠م ، ان ذلك لم يكن من مخلفات شعوب مختلفة وانما ذلك كله تركة شعب واحد ، كما وأنه لا يشاهد انقلاب مفاجيء في المفاهيم والحياة اليومية ٠ لذا يستحسن أن يعطى هذا التطور تسمية تتفق معه وهي : العصر البرونزي القديم ، نلاحظ من خلاله مراحل مختلفة نتيجة لبعض التحولات الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ٠

ومن الملاحظ أن بعض الموجات البشرية قد جاءت واختلطت بسكان المنطقة ، أهمها التي جاءت من الشمال في المرحلة الثالثة للعصر البرونزي القديم EB III (حوالي ٢٥٥٠ – ٢٢٧٥ ق٠م) والذين من مخلفاتهم فخار مصقول بالالوان (أحمر فاتح وبني وأسود) وتزينه زخارف بارزة ويعرف هذا الفخار باسم فخار خربة الكرك من مميزات هذه المرحلة أيضا أبنية مستديرة ، أوضحها التي وجدت في خربة الكرك قرب بحيرة طبرية والمنسوب اليها الفخار المشار اليه والذي ظهر منه أمثلة في باب الذراع ٠

ينتهي تاريخ باب الذراع مع نهاية العصر البرونزي القديم اذ قضى جماعة « أمورو » على تلك الحضارة كما تبين أعلاه ٠ لم تسلم المدينة المحصنة أو القلعة شمالي الموقع من هجومهم كما تبين ذلك من الحفر التجريبية فيها ٠ أطوال هذه المدينة ٣٤٠ × ١٣٠ م ويحيط بها سور من الطوب عرضه ٣م وأبراج تحصينية تم الكشف عن واحد منها في الطرف الشرقي ٠

أصبح للمدينة فيما بعد سور منيع من الحجر بلغ سمكه حوالي ١٣م وقد تبين أن القبور المستطيلة (Charnel houses) هي من مخلفات سكان المدينة ، الا أنه لم يعثر الى الان على بيوت تعاصر النوعين الاول (Shaft tombs) والثالث Cairn burial كما أنه لم يكشف النقاب بعد على مباني هامة في المدينة ٠

لم يترك لنا سكان المنطقة القدماء أية آثار مكتوبة ، الامر الذي يتعذر فيه علينا اعطاء أرقام تاريخية دقيقة للمراحل الزمنية التي مر بها المكان ٠

ان دراسة مكتشفات باب الذراع المحفوظة الى الان في المدرسة الامريكية للابحاث الشرقية في القدس العربية ومتابعة أعمال الحفر والاستقصاء الاثري في الموقع نفسه ومواقع أخرى حوله ، ستكشف حتما عن تفاصيل وأدلة أخرى تبرز من خلالها المكانة الحضارية التي كان يتمتع بها باب الذراع عبر مراحل العصر البرونزي القديم ومدى انتشار حضارة هذا العصر في المنطقة ٠

الدكتور معاوية ابراهيم

رئيس قسم الحفريات

دائرة الآثار العامة ـ عمان

مراجعة كتاب

Barthel Hrouda
Handbuch der Archàologie
Vorderasien I
Mesopotamien, Bablonien, Iran; und
Anatolien, Munchen (1970).

الدكتور معاوية ابراهيم

كان من المفروض أن يخرج هذا الكتاب اعادة لطبعة قديمة تدعى المدخل في الاثار لعالم الاثار المشهور فالتر أندريه ، الا أن سعة الموضوع وكثرة نتائج الحفريات والابحاث التي تمت في السنين الاخيرة قادت المؤلف الى اخراج كتاب مستقل يشكل الجزء الاول من المدخل في الاثار الشرقية · يضم هذا الجزء بلاد ما بين النهرين· ايران ، تركيا ، ومن المفروض أن يضم الجزء الثاني آثار سوريا وفلسطين وقبرص ·

بلغت عدد صفحات الكتاب « ٣٣٨ » صفحة متوسطة الحجم ومن الورق الجيد ويتخللها عدد كبير من الرسومات الايضاحية وبشكل خاص للآثار الهامة المعمارية والفخارية وفي نهاية الكتاب « ١٢٢ » صورة للمكتشفات البارزة ، وهو مزود في آخره بخارطتين شاملتين لمعظم المواقع الاثرية في المنطقة المشار اليها أعلاه · يستعرض المؤلف في مقدمته (ص ٩ ــ ٢٤) الحدود الجغرافية والزمنية والاصطلاحات الدارجة في البحث ، كذلك موجزا عن تاريخ الحفريات الاثرية ، فتسمية العصور ومسائل التسلسل الزمني ·

ويشاهد القارىء عرضا مفصلا للمراجع مصنفة بشكل عملي اذ تضمنت مراجع عامة في بداية الكتاب وأخرى تبعا لتسلسل العصور لدى مناقشتها كل على حده ، كما أنه لم يغفل عن استعراض تقارير الحفريات مع أهم النتائج التي تبينت في هذه الحفريات · يقسم المؤلف مجلده الى سبعة فصول رئيسية :

يستعرض في الفصل الاول (ص ٢٧ ــ ٤٨) عصور ما قبل التاريخ من الباليوليثي وحتى النيوليثي ما قبل الفخار وما بعد الفخار ومن ثم الحجري النحاسي ·

ويحوي الفصل الثاني العصر التاريخي المبكر في بلاد ما بين النهرين والذي يقابله العصر البرونزي القديم في الاناضول وشمالي سوريا وفلسطين ·

يتفرع عن هذا العصر : فترة الوركاء وتيبي جاورا (ص ٧٦ ــ ٧٨) نسبة الى الموقعين الهامين الاول في جنوب العراق والثاني في شماله : وأهم ما يتطرق اليه المؤلف هو تصنيف الاثار المعمارية وخاصة المعابد التي كشف عنها في كلا الموقعين ، ومما يميز هذه الفترة عما سبقها ظهور أقدم كتابة وأقدم أختام استطوانية في طبقة IVa في الوركاء يلي ذلك عصر جمدت نصر نسبة الى موقع جمدت نصر الى الشمال الشرقي من بابل والذي اشتهر عن طريق خزف ملون نسب الى الموقع أيضا ·

وأهم معالم هذا العصر المعمارية هي التي وجدت في أقدم طبقات منطقة ديالي (تل أسمر ــ خفاجي ــ وتل عقرب) وفي الطبقة الثالثة من الوركاء يقابل هذا العصر في عيلام في الجنوب الغربي من ايران فترة ما قبل العصر العيلامي · وتبحث مادة الفصل الثالث في ظهور

السومريين والساميين وقد قسمه المؤلف الى الموضوعات التالية

١) عصر فجر السلالات بمراحل يختلف العاملون في الآثار العراقية في تسميتها الا أن المألوف هو :

أ) عصر ميزيلم والتي تمثل مرحلة انتقالية لظهور السلالات السومرية ·

ب) سلالة أور الاولى ·
وتقسيمات أخرى لهذا العصر تظهر في مؤلفات كثيرة تحت التسمية ·
فجر السلالات الاول ·
فجر السلالات الثاني ·
فجر السلالات الثالث أ ، ب ·
وهذان التقسيمان المختلفان نابعان عن ان التقسيم الاول يعتمد على تصنيف فني لعدد من المكتشفات وأما التقسيم الثاني فهو خلاصة تتابع الطبقات السكنية وخاصة في منطقة ديالي (ص ١١٠ ـ ١٢٤) ·

٢) حضارات الخليج العربي ـ الفارسي والمتأثرة بحضارة ما بين النهرين ·

٣) ايران في أواسط الالف الثالث ق·م والمميز بفخار ملون بأشكال هندسية وطيور ، وينسب الى هذه الحضارة عدد كبير من التماثيل الصغيرة من البرونز والنحاس (ص ١٢٦ ـ ١٢٧) ·

٤) العصر البرونزي القديم الثاني في الاناضول (ص ١٢٨ ـ ١٢٩) ·

٥) السلالة الاكادية ، التي يستهلها المؤسس سرجون وهذا أول برهان يؤكد انتشار السلطة السامية على نطاق واسع فطور هؤلاء الكتابة السومرية وقواعدها الا أن عاصمتهم ما زالت مجهولة ، كما أن وضوحا يطرأ على ديانة وآلهة الشرق في أواسط الالف الثالث ق·م (ص ١٢٩ ـ ١٣٤) · نارام سن هو أشهر ملوك الاكاديين بعد سرجون ·

٦) ايران في العصر الاكادي ·

٧) العصر البرونزي القديم الثالث في الاناضول ·

٨) القوط وسلالة أور الثالثة السومرية (ص ١٤٠ ـ ١٥٠) ويتولى القوط حكم البلاد بعد أن قضوا على العرش الاكادي · أهم موقع يتمثل فيه هذا العصر هو تلو (جرسو) حيث ظهرت أعداد كبيرة من المكتشفات أبرزها تماثيل الحاكم جوديا وابنه أورننجزسو المصنوعة من الديوريت· كما أن هنالك عدد كبير من تماثيل للنساء ولوحات دينية تنسب الى هذا العصر ، وأشهر ملوك هذه الفترة أورنامو، وشولجي وايبيسين ·

الفصل الرابع : يبحث في آثار الشرق في مستهل الالف الثاني قبل الميلاد ويستعرض المؤلف حضارة كل منطقة على حده ·

١ ـ حكم الساميين الغربيين (ص ١٥٤ ـ ١٦٨) الذين تحالفوا مع الغلاميين للقضاء على سلالة أور الثالثة · عرف هؤلاء الساميون في الكتابات السومرية باسم « مارتو » وأطلق عليهم البابليون القدماء اسم « أمورو » ، وقد جاء العموريون الى شمالي العراق على شكل قبائل رحل ودخلوا وظائف الدولة وتمكنوا من التسلق الى الحكم · وتظهر آثارهم في عدد من المخلفات المعمارية والاختام الاسطوانية وكذلك في الكتابات البابلية القديمة · الابحاث والنظريات حول هذه الفترة كثيرة وتكاد تكون معقدة ويكتفي المؤلف بالاشارة اليها علما بأن أهمية خاصة للنتائج المترتبة على دراسة النصوص البابلية في هذا المجال ·

٢ ـ فترة الميلاميين القديمة (ص ١٦٨ ـ ١٧٠) الممثلة الى الان في عدد قليل من التماثيل والاختام الاسطوانية التي يغلب عليها الطابع البابلي القديم ·

٣ ـ الاناضول والمستعمرات التجارية الاشورية (ص ١٧٠ ـ ١٧٤) أهم المخلفات المنسوبة الى هذه الفترة مجموعة كبيرة من لوحات الاجر المكتوبة بالخط المسماري اكتشفت في مدينة كيولتبه (Kültepe) واسمها القديم

كارم ـ كانش شمالي قيساريه · تشير هذه اللوحات مع ما رافقها من مكتشفات الى استعمار الاشوريين لاواسط الاناضول عن طريق تجار استوطنوا المنطقة ، وكان لهذا أثر بالغ على تطور الكتابة والفن في الاناضول في الالف الثاني ق·م·

يخص المؤلف الفصل الخامس لمن يسمون بشعوب الجبال الذين سادوا معظم بلاد الشرق في النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد ·

١) الحوريون والميتانيون (ص ١٨٠ ـ ١٨٤) في شمالي ما بين النهرين عاصمتهم كاشوكاني التي لم تكتشف بعد وأهم مدنهم يورجان تيبي (نوزي) وتل عطشانه ·

٢) الكاشيون (ص ١٨٤ ـ ١٩٣) عاصمتهم عقرقوف (قديما دور ـ كوريجالزو) على بعد بضعة كيلومترات من بغداد حيث ما زالت الحفريات جارية ·

٣) الحثيون (ص ١٩٤ ـ ٢٠٦) عاصمتهم بوغازكوى ـ خاتوشا ـ ١٥٠ كم شرقي أنقره ، حيث تم اكتشاف عدد كبير من المعابد والمساكن وكذلك سور المدينة بمداخلها الرئيسية ، يوجد في الشمال الغربي خارج المدينة مركز ديني مع تماثيل كثيرة قطعت في الصخر · حوالي ١٢٠٠ ق·م أحرقت المدينة من قبل شعوب البحر وبذلك تواجه الحضارة الحثية نهايتها ·

٤) العصر الاشوري المتوسط (ص ٢٠٧ ـ ٢١٣) ، بانتصار الحثيين على الميتانيين حوالي ١٣٦٠ ق·م استطاع الاشوريون التخلص من الحكم الميتاني والعودة الى السيطرة ، واتخذ هؤلاء من قلعة شرقاط (آ شور) على شاطىء دجله عاصمة لهم ·

٥) الفترة العيلامية المتوسطة (ص ٢١٣ ٢١٧) أهم مدن هذه الفترة تشوغازامبيل (قديما دور ـ أونتاش) وأبرز ما فيها الزقوره التي يبلغ ارتفاعها ٢٥م ، وقد كشف عن عدد من معابد وقصور المدينة ·

عنوان الفصل السادس الامبراطورية الاشورية وجيرانها وللمؤلف باع طويل في دراسة وبحث هذه الفترة ويلخصها في مؤلفه هذا فيستعرض :

١ ـ العواصم الاشورية الاربعة (ص ٢٢٦ ـ ٢٤٥) : أشور ، نمرود خورس أباد ، نينوى ، كل من هذه المدن مميزة تختلف عن الاخرى وتضم كل منها عددا كبيرا من المعابد والقصور وفي ثلاثة منها زقوره ·

٢ ـ بلاد بابل حتى ٦١٢ ق·م (ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧) التي وقعت منذ القرن التاسع ق·م تحت سيطرة الاشوريين ·

٣ ـ ايران في العصر الحديدي القديم (الفترة العيلامية الاخيرة) (ص ٢٤٧ ـ ٢٥٤) والى هذه الفترة تعود آلاف القطع البرونزية معظمها من القبور وغالبا ما كان أصحاب هذه الحضارة من القبائل الرحل ·

٤) الآراميون في شمال سوريا وجنوبي الاناضول (ص ٢٥٢ ـ ٢٥٦) بعد القضاء على الحكم الحثي أصبح المجال مفتوحا أمام الآراميين لتأسيس عدد من الممالك أهمها : بيت أكوسي التي ضمت أحلب وارباد (تل رفعت) ، ويعودي بعاصمتها صمأل (سنجرلي) بيت أديني وضمت تل بارسيب (تل أحمر) ، وبيت باخياني ومركزها كوزانا (تل حلف) ·

٥) الاناضول تحت سيطرة الاورارتيين والفريجيين (ص ٢٥٧ ـ ٢٧٣) ·

الفصل السابع والاخير يضم : ـ

١) الامبراطورية البابلية المتأخرة (ص ٢٧٨ ـ ٢٨٥) ·

أتاح احتراق نينوى الفرصة للبابليين

للسيطرة ثانية فأعادوا بناء بابـل بشكل جديد ، وهي المدينة الضخمة التي تركـت لنا أهم الاثار البابلية ٠

٢) الميديون والفرس (ص ٢٨٦ ـ ٢٩١) الذين يعتبر منهم مزيج من الحضارات المجاورة التي سبقتهم ٠

٣) الهلينية والفرثية (ص ٢٩١ ـ ٢٩٩) التي تعـاصر العصر الهلينـي والرومـاني فـي فلسطين ومصر ، وأهم ما يمثـل المرحلة المتأخرة لهذه الفترة مدينة الحضر ٠

يلي ذلك ثلاثة فصول اضافية تتعلق بالحفريات وكيفية تسجيلها ، والمعالجة العلمية لفن النحت وطريقة تصنيف المكتشفـات ٠ نجد في نهايـة الكتاب خمس لوحات لتوجيه القـارىء وتحوي تسلسل العصور مع الطبقات السكنية التي تمثل كل عصر ٠

يعتبر هذا الجزء من مدخل الاثار الشرقيـة مرجعا هاما لطلاب الاثار والعاملين في هذا الحقل كذلك لمن له اهتمام بآثار وتاريخ الشرق فتصنيف الكتاب وأسلوبه يساعد القارىء على فهم التطور الحضاري في المنطقة ٠

ونرجو أن لا يطول صدور الجزء الثاني ٠

الدكتور معاوية ابراهيم
دائرة الاثار العامة
عمـان

جرش : الواجهة الجنوبية لبوابة عمان بعد انتهاء الترميم

جرش : الجزء الغربي من الواجهة الشمالية لبوابة عمان قبل الترميم

جرش : المدرج الجنوبي منظر للقبو المنهار قبل الترميم

جرش : مدخل المرحلة الثانية من المدرج بعد تنظيفه تمهيدا لترميمه

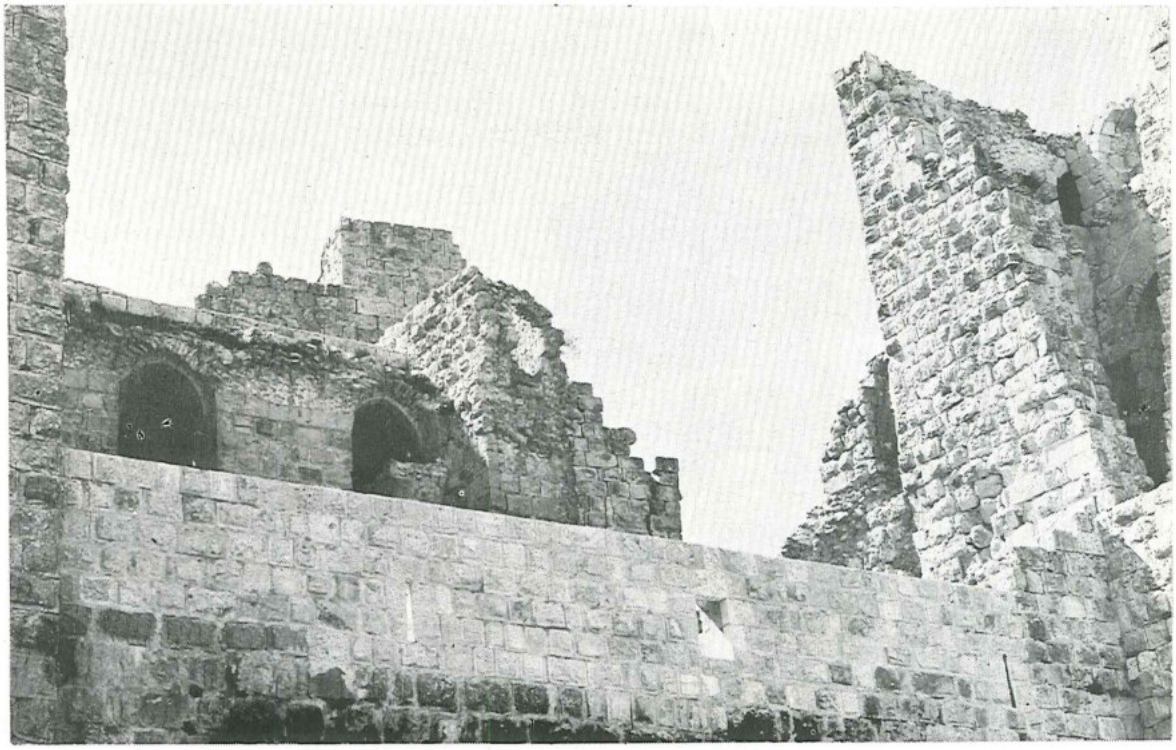

أ ــ قلعة الربض(عجلون) الواجهة الشرقية بعد الترميم

ب ــ قلعة الربض (عجلون) الواجهة الشمالية قبل الترميم

أ ــ ام الرصاص (مادبا) البرج قبل الترميم

ب ــ البتراء : البوابة التذكارية بعد ترميمها

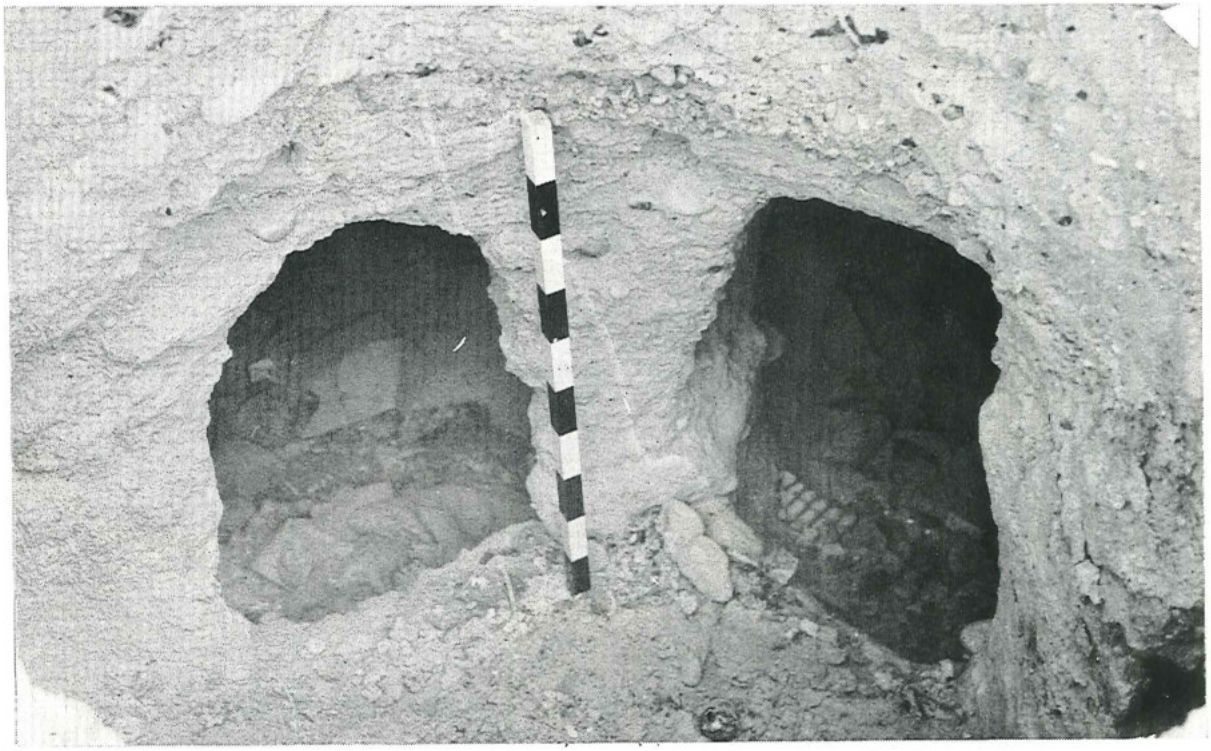

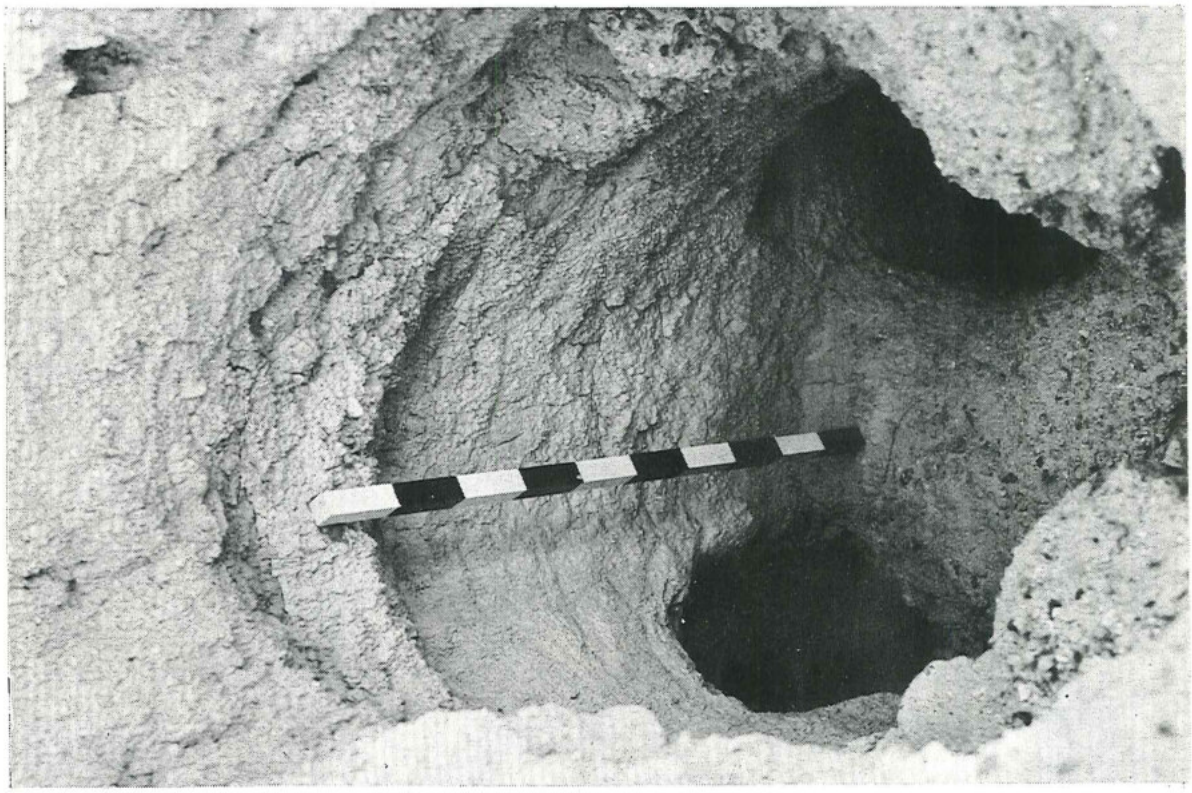

مقابر باب الذراع (العصر البرونزي القديم

ابراهيم ، باب الذراع ــ لوحة

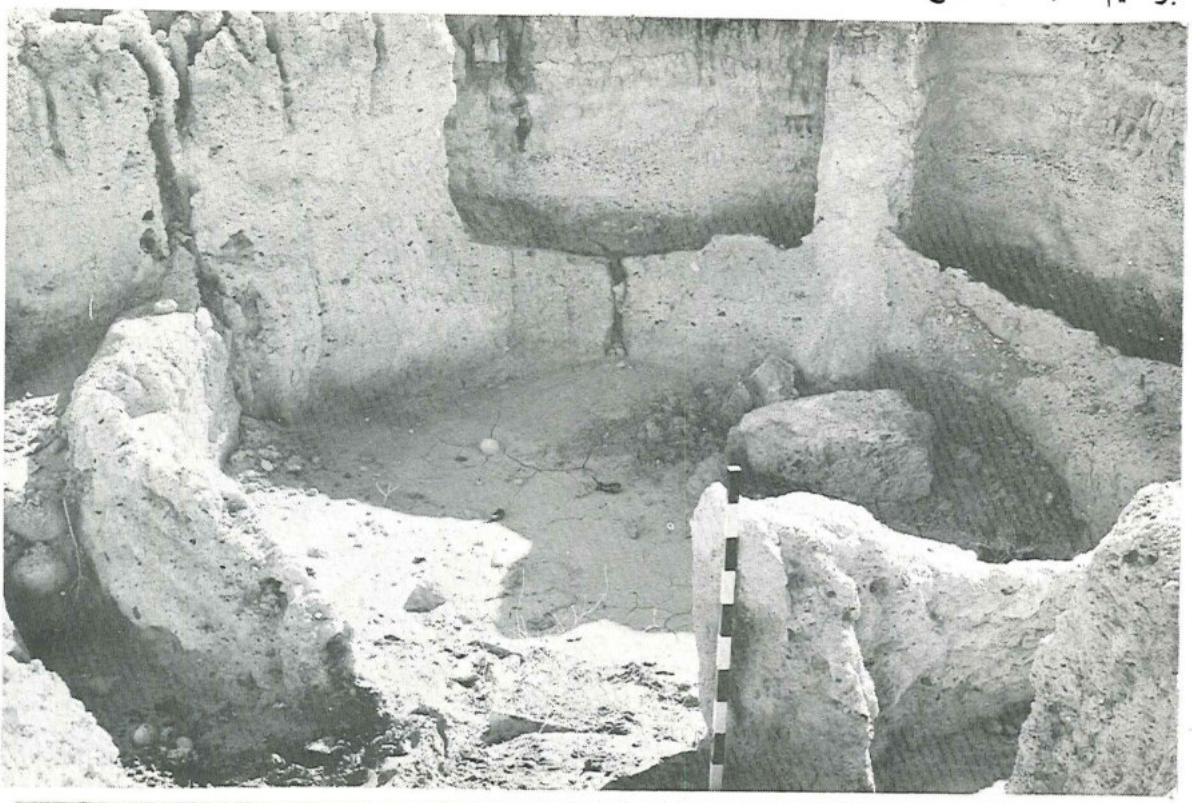

قبة باب الذراع من النوع الثاني مستدير الشكل

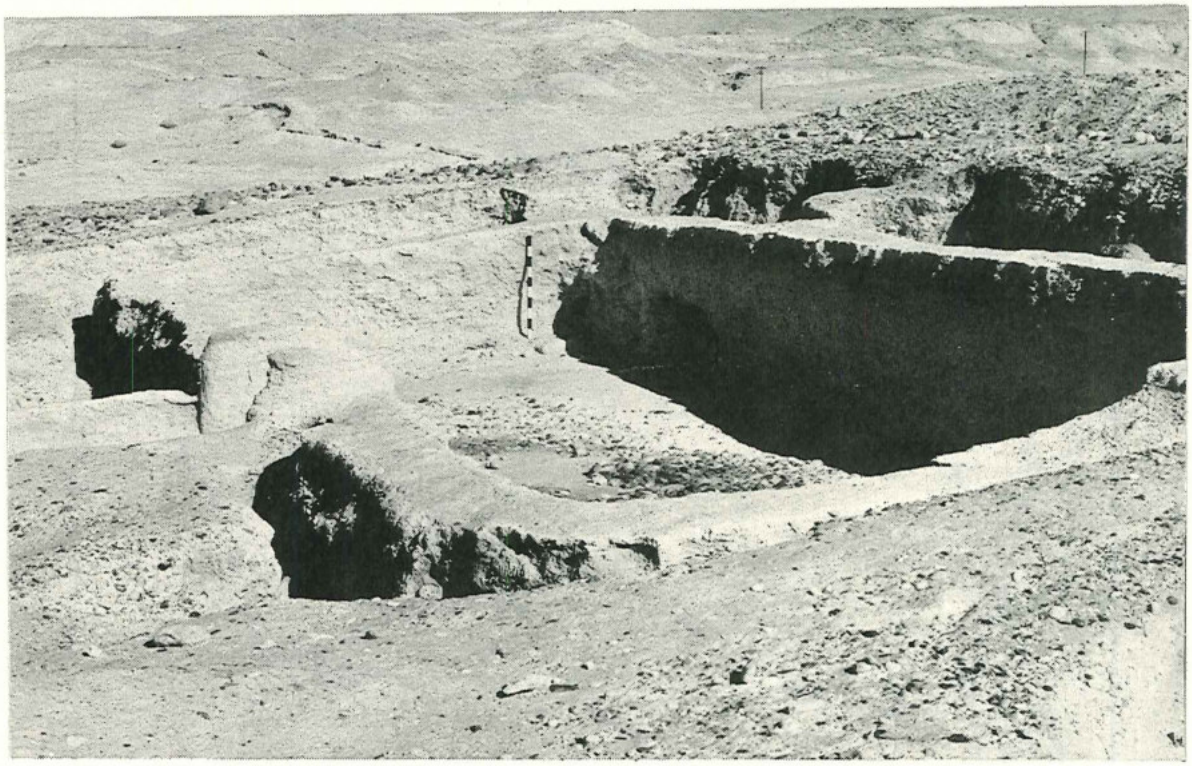

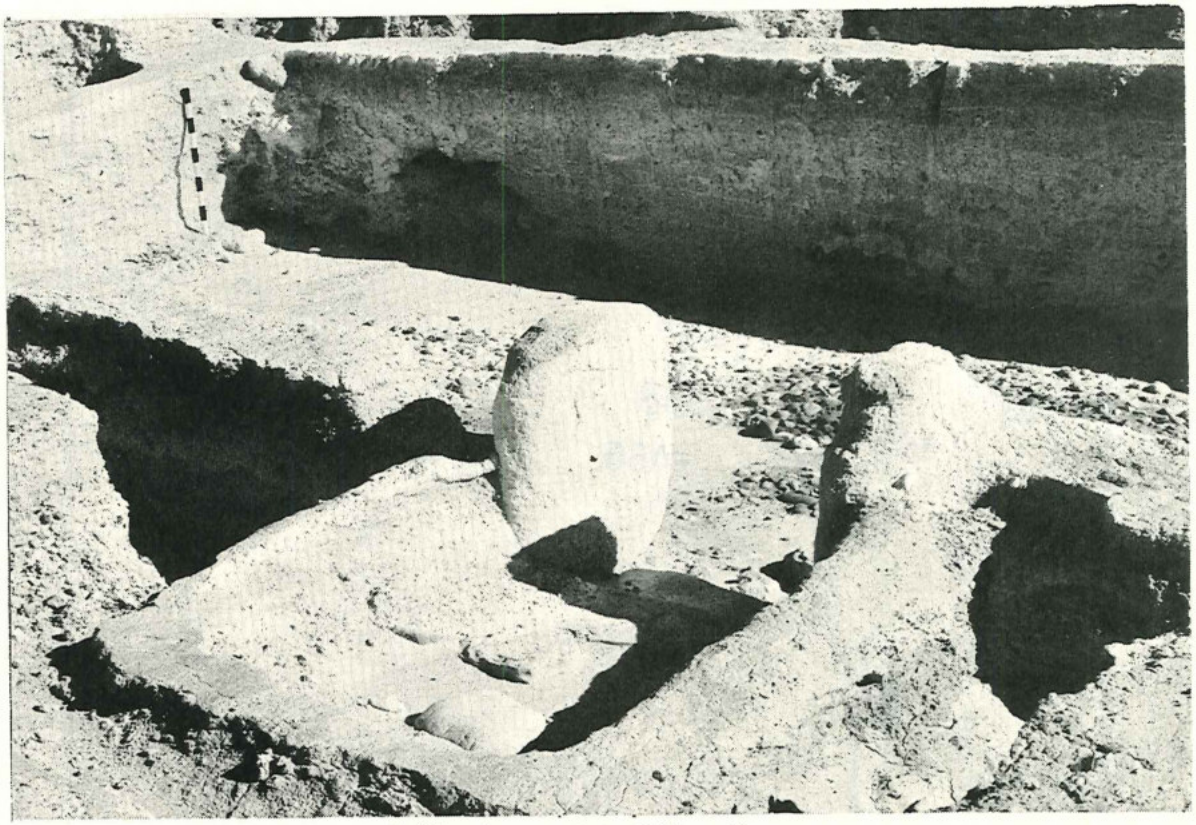

ب ــ النوع الثاني من قبور باب الذراع

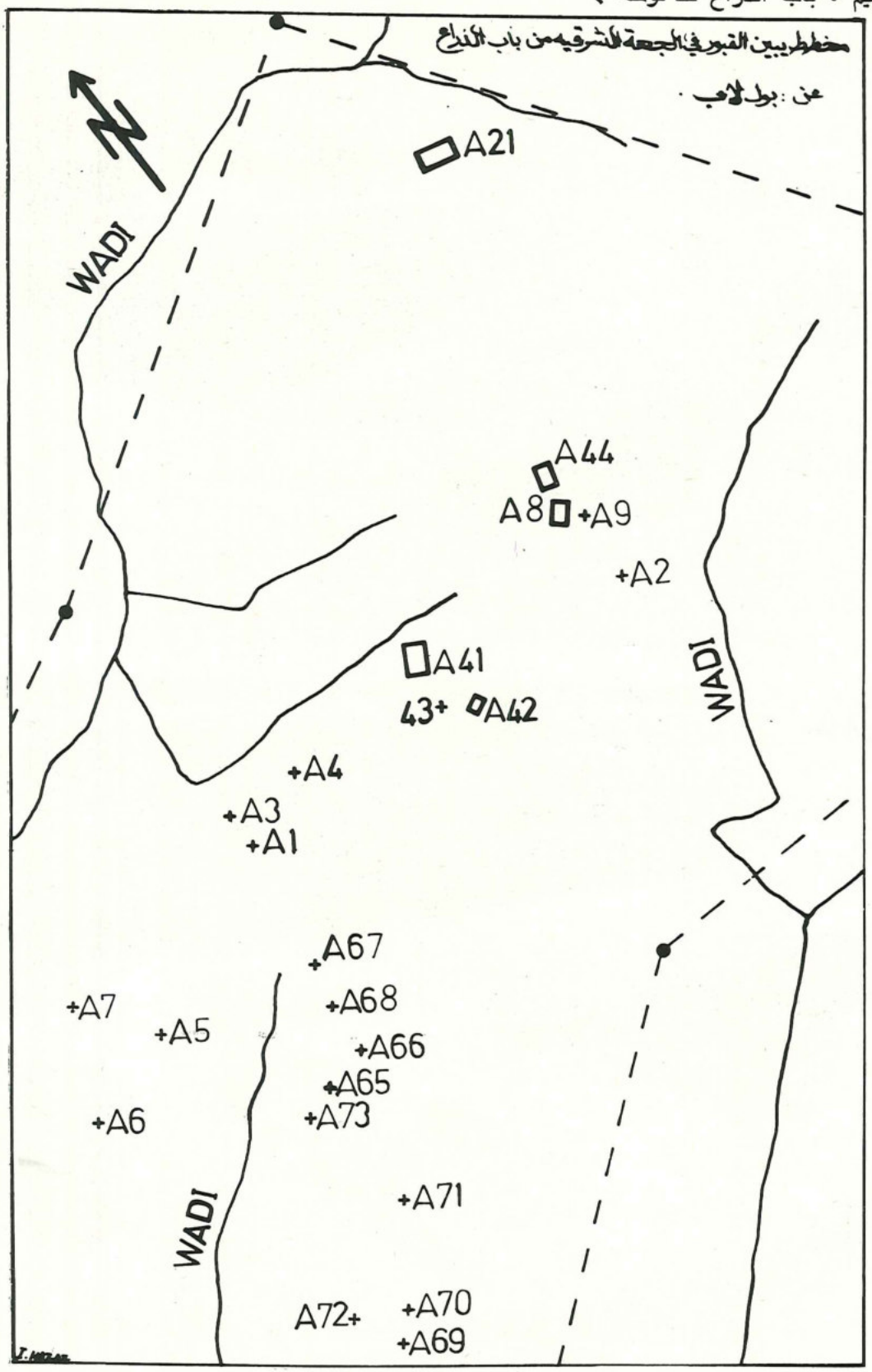
مخطط يبين القبور في الجهة الشرقية من باب الذراع
عن : بول لاب
N
WADI
WADI
WADI
A21
A44
A8
A9
A2
A41
43
A42
A4
A3
A1
A67
A7
A68
A5
A66
A65
A6
A73
A71
A72
A70
A69